عسكره ، وسار إلى سرماري ليحصرها، فوصل الخبر إلى صاحبها بذلك ، فحصنها وجمع ،الذخائر وما يحتاج إليه ، فأتاه من اخبره ان الكرج نزلوا بواد بين دوين وسرماري ، وهو وادٍ ضيق فسار بجميع عسكره جريدة، وجدَّ السير ليكبس الكرج ، فوصل إلى الوادي الذي هم فيه وقت السحر، ففرق عسكره فرقتين ، فرقة من أعلى الوادي ، وفرقة من أسفله ، وحملوا عليهم ، وهم غافلون ووضعوا السيف فيهم ، فقتلوا وأسروا ، فكان في جملة الأسرى شلوة أمير دوين في جماعة كثيرة من مقدميهم ، ومن سلم من الكرج ؛ عاد إلى بلدهم على حال سيئة، ثم إن ملك الكرج ارسل إلى الملك الأشرف موسى بن العادل صاحب ديار الجزيرة ، وهو الذي أعطى خلَّاط وأعمالها الأمير شهاب الدين يقول له : كنا نظن أننا على صلح ، والآن فقد عمل صاحب سرماري هذا العمل ، فإن كنا على الصلح فنريد إطلاق أصحابنا من الأسر، وإن كان الصلح قد انفسخ بيننا، فتعرفنا حتى ندبر أمرنا ، فأرسل الأشرف إلى صاحب سرماري يأمره بإطلاق الأسرى، وتجديد الصلح مع الكرج ، ففعل ذلك واستقرَّت قاعدة الصلاح وأطلق الأسرى .

ذكر الحرب بين غياث الدين وبين خاله

في هذه السنة في جمادى الآخرة، انهزم إيغان طائسي ، وهو خال غياث الدين بن خوارزمشاه محمد بن تكش ،وهذا غياث الدين ، هو صاحب بلاد الجبل والري وأصبهان وغير ذلك ، وله أيضاً بلاد كرمان ، وكان سبب ذلك ان خاله إيغان طائسي كان معه ، وفي خدمته ، وهو اكبر أمير معه لا يصدر

غياث الدين الا عن رأيه ، والحكم إليه في جميع المملكة، فلما عظم شأنه حدَّث نفسه بالاستيلاء على الملك ، وحسن له ذلك غيره وأطعمه فيه .

قيل : إن الخليفة الناصر لدين الله اقطعه البلاد سراً وأمره بذلك ، فقويت نفسه على الخلاف ، فاستفسد جماعة من العسكر واستمالهم ، فلما تم له أمره أظهر الخلاف على غياث الدين وخرج عن طاعته أوزبك ، وصارفي البلاد يفسد ويقطع الطريق وينهب ما أمكنه من القرى وغيرها ، وانضاف إليه جمعٌ كثير من أهل ا لعنف والفساد ، ومعه مملوك آخر اسمه أيبك الشامي كانا متفقين على العصيان ، فقوي بهما ، وساروا جميعهم إلى غياث الدين ليقاتلوه ويملكوا بلاده ويخرجوه منها، فجمع غياث الدين عسكره ،والتقوا بنواحي ... (1) .

(1) بياض في الأصل.

واقتتلوا فانهزم خال غياث الدين ومن معه وقتل من عسكره وأسر كثير ، وعاد المنهزمون إلى أذربيجان على أقبح حال وأقام غياث الدين ني بلاده وثبت قدمه .

حادثة غريبة لم يوجد مثلها

كان أهل مملكة الكرج لم يبق منهم غير امرأة، وقد انتهى الملك إليها، فوليته وقامت بالأمر فيهم ، وحكمت فطلبوا لها رجلاً يتزوجها ، ويقوم بالملك نيابة عنها ، ويكون من أهل بيت مملكة، فلم يكن فيهم من يصلح لهذا الأمر، وكان صاحب أرزن الروم هذا الوقت هو مغيث الدين طغرلشاه بن قلج ارسلان بن مسعود قلج ارسلان ، وبيته مشهور من أكابر ملوك الاسلام ، وهم من الملوك السلجوقية، وله ولد كبير، فأرسل إلى الكرج يطلب الملكة لولده ليتزوجها، فامتنعوا من إجابته ، وقالوا :لا نفعل هذا لأننا لا يمكننا ان يملك أمرنا مسلم ، فقال لهم : إن ابني يتنصر ويتزوجها ، فأجابوه إلى ذلك ، فأمر ابنه فتنصر ودان بالنصرانية ، وتزوج الملكة وانتقل فيها، وأقام عند الكرج حاكماً في بلادهم ، واستمرّ على النصرانية نعوذ بالله من الخذلان ونسأله ان يجعل خير اعمالنا آخرها، وخير أعمالنا خواتيمها وخير ايامنا يوم نلقاه ، ثم كانت هذه الملكة الكرجية تهوى مملوكا لها، فكان زوجها يسمع عنها القبائح ، ولا يمكنه الكلام لعجزه ، ثم إنه يوماً دخل عليها، فرآها نائمة مع مملوكها في فراش ، فأنكر ذلك وواجهها بالمنع منه ، فقال : إن رضيت بهذا وإلا فأنت أخبر، فقال : إنني لا ارضى بهذه فنقلته إلى بلد آخر، ووكلت به من يمنعه من الحركة ، وحجرت عليه ، وأرسلت إلى بلد اللان ،

وأحضرت رجلين كانا قد وصفا بحسن الصورة، فتزوجت أحدهما، فبقي معها يسيرا، ثم إنها فارقته ، واحضرت انساناً آخر من كنجة ، وهو مسلم ، فطلبت منه ان يتنصر ليتزوجها، فلم يفعل ، فأرادت ان تتزوجه وهو مسلم ، فقام عليها جماعة الأمراء ، ومعهم إيواني وهو مقدم العساكر الكرجية، فقالوا لها قد افتضحنا بين الملوك بما تفعلين ، ثم تريدين ان يتزوجك مسلم ، وهذا لا نمكن منه ابداً، والأمر بينهم متردد، والرجل الكنجي عندهم لم يجبهم إلى الدخول في النصرانية وهي تهواه .

ذكر حوادث عدة

في هذه السنة كان الجراد في اكثر البلاد، وأهلك كثيراً من الغلات والخضر بالعراق والجزيرة وديار بكر وكثير من الشام وغيرها .

وفيها في رمضان ، توفي عبد الرحمن بن هبة الله بن عساكر الفقيه الشافعي الدمشقي بها ، وكان غزير العلم عالماً بالمذهب كثير الصلاح والزهد والخير– رحمه الله .

وفيها تجمع العرب في خلق كثير على حجاج الشام ، وأرادوا قطع الطريق عليهم وأخذهم ، وكان الأمير على الحجاج شرف يعقوب بن محمد وهو من أهل الموصل أقام بالشام وتقدم فيه ، فمنعهم بالرغبة والرهبة ، ثم صانعهم بمال وثياب وغير ذلك ، فأعطى الجميع من ماله ، ولم يأخذ من الحجاج الدرهم الفرد، وفعل فعلًا جميلاً، وكان عنده كثبر من العلوم ، ويرجع إلى دين متين .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وستمائة

ذكر عود طائفة من التتر إلى الري وهمذان وغيرهما

أول هذه السنة وصل طائفة من التتر من عند ملكهم جنكزخان ، وهؤلاء غير الطائفة الغربية التي ذكرنا اخبارها قبل وصول هؤلاء الري ، وكان من سلم من أهلها قد عادوا إليها وعمروها ، فلم يشعروا بالتتر الا وقد وصلوا اليهم ، فلم يمتنعوا عنهم ، فوضعوا في أهلها السيف ، وقتلوهم كيف شاؤوا، ونهبوا البلد وخربوه ، وساروا إلى ساوة، ففعلوا بها كذلك ، ثم إلى قم وقاشان ، وكانتا قد سلمتا من التتر أولاً، فانهم لم يقربوهما، ولا اصاب أهلهما أذى، فأتاهما هؤلاء وملكوهما، وقتلوا أهلهما، وخربوهما والحقوهما بغيرهما من البلاد الخراب ، ثم ساروا في البلاد يخربون ويقتلون وينهبون ، ثم قصدوا همذان ، وكان قد اجتمع بها كثير ممن سلم من أهلها، فأبادوهم قتلاً وأسراً ونهباً، وخربوا البلد، وكانوا لما وصلوا إلى الري رأوا بها عسكرا كثيرا من الخوارزمية، فكبسوهم وقتلوا منهم ، وانهزم الباقون إلى اذربيجان ، فنزلوا باطرافها، فلم يشعروا إلا والتتر أيضاً قد كبسوهم ، ووضعوا السيف فيهم ، فولوا منهزمين ، فوصل طائفة منهم إلى تبريز، وأرسلوا إلى صاحبها أوزبك بن البهلوان يقولون : إن كنت موافقنا فسلم إلينا من عندك من الخوارزمية ، وإلا فعرفنا أنك غير موافق لنا ولا في طاعتنا، فعمد إلى من عنده من الخوارزمية فقتل بعضهم ، وأسر بعضهمٍ وحمل الأسرى والرؤوس إلى التتر وانفذ معها من الأموال والثياب والدواب شيئاً كثيرا ، فعادوا عن بلاده نحو خراسان فعلوا هذا وليسوا في كثرة كانوا نحو ثلاثة آلاف فارس ، وكان الخوارزمية الذين

انهزموا منهم نحو ستة آلاف فارس وعسكر اوزبك اكثر من الجميع ، ومع هذا ، فلم يحدث نفسه ولا الخوارزمية بالامتناع منهم نسأل الله أن ييسر للإسلام والمسلمين من يقوم بنصرتهم ، فقد دفعوا إلى أمر عظيم من قتل النفوس ونهب الأموال واسترقاق الأولاد وسبي الحريم وقتلهن وتخريب البلاد .

ذكر ملك غياث الدين بلاد فارس

قد ذكرنا ان غياث الدين بن خوارزمشاه محمد كان بالري ، وله معها أصفهان وهمدان وما بينهما من البلاد، وله أيضاً بلاد كرمان ، فلما هلك أبوه كما ذكرناه وصل التتر إلى بلاده وامتنع بأصفهان وحصره التتر فيها فلم يقدروا عليها فلما فارق التتر بلاده ، وساروا إلى بلاد قفجاق عاد وملك البلاد وعمَّر ما أمكنه منها، وأقام بها إلى اواخر سنة عشرين وستمائة ، وجرى له – ما ذكرناه – ففي آخر سنة عشرين سار إلى بلاد فارس ، فلم يشعر صاحبها وهو أتابك سعد بن دكلا إلا وقد وصل غياث الدين إلى أطراف بلاده ، فلم يتمكن من الامتناع ، فقصد قلعة اصطخر، فاحتمى بها، وسار غياث الدين إلى مدينة شيراز، وهي كرسي مملكة فارس وأكبرها وأعظمها فملكها بغير تعب أول سنة احدى وعشرين وستمائة ، وبقي غياث الدين بها، واستولى على اكثر البلاد، ولم يبق بيد سعد الدين إلا الحصون المنيعة، فلما طال الأمر على سعد الدين صالح غياث الدين على أن يكون لسعد الدين من البلاد قسم اتفقوا عليه ، ولغياث الدين الباقي ، وأقام غياث الدين بشيراز وازداد اقامة وعزماً على ذلك لمَّا سمع أن التتر قد عادوا إلى الري والبلاد التي له وخربوها.

ذكر عصيان شهاب الدين غازي على أخيه الملك الأشرف وأخذ خلاط منه

كان الملك الأشرف موسى بن العادل أبي بكر بن أيوب قد اقطع أخاه شهاب الدين غازي مدينة خلاط وجميع أعمال أرمينية ، وأضاف إليها ميافارقين ، وحاني ، وجبل جور، ولم يقنع بذلك حتى جعله ولي عهده في البلاد التي له جميعها، وحلف له جميع النواب والعساكر في البلاد فلما سلم إليه

أرمينية سار إليها – كما ذكرناه – وأقام بها إلى آخر سنة عشرين وستمائة، فأظهر مغاضبة أخيه الملك الأشرف ، والتجني عليه والعصيان والخروج عن طاعته ، فراسله الأشرف يستميله ويعاتبه على ما فعل ، فلم يرعو ولا ترك ما هو عليه بل اصر على ذلك ، واتفق هو وأخوه المعظم عيسى صاحب دمشق ومظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل ، على الخلاف للأشرف ، والاجتماع على محاربته ، واظهروا ذلك وعلم الاشرف ، فأرسل إلى أخيه الكامل بمصر يعرفه ذلك ، وكانا متفقين وطلب منه نجدة، فجهَّز العساكر، وأرسل إلى أخيه صاحب دمشق يقول له : إن تحركت من بلدك سرت إليه وأخذته ، وكان قد سار نحو ديار الجزيرة

للميعاد الذي بينهم ، فلما وصلت إليه رسالة أخيه ، وسمع بتجهيز العساكر عاد إلى دمشق ، وأمَّا صاحب إربل ، فإنه جمع العساكر، وسار إلى الموصل ، فكان منه – ما نذكره إن شاء الله – وأمَّا الأشرف فإنه لما اتفق عصيان أخيه جمع العساكر من الشام والجزيرة والموصل ، وسار إلى خلاط ، فلما قرب منها خافه أخوه غازي ، ولم يكن له قوة على ان يلقاه محارباً ففرق عسكره في البلاد ليحصنها، وانتظر ان يسير صاحب اربل إلى ما يجاوره من الموصل وسنجار، وان يسير أخوه صاحب دمشق إلى بلاد الاشرف عند الفرات الرقة وحران وغيرهما، فيضطر الأشرف حينئذ إلى العود عن خلاط ، فسار الأشرف إليه ، وقصد خلاط ، وكان أهلها يريدونه ويختارون دولته لحسن سيرته كانت فيهم وسوء سيرة غازي ، فلما حصرها سلمها أهلها إليه يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الآخرة، وبقي غازي في القلعة ممتنعاً، فلما جنه الليل نزل إلى أخيه معتذراً ومتنصلا، فعاتبه الأشرف ، وأبقى عليه ولم يعاقبه على فعله لكن اخذ البلاد منه وأبقى عليه ميافارقين .

ذكر حصار صاحب إربل الموصل

قد ذكرنا اتفاق مظفَّر الدين كوكبري بن زين الدين على صاحب إربل وشهاب الدين غازي صاحب خلاط ، والمعظم عيسى صاحب دمشق على قصد بلاد الملك الأشرف ، فأما صاحب دمشق ، فإنه سار عنها مراحل يسيرة ، وعاد اليها لأن اخاه صاحب مصر أرسل إليه يتهدده ان سار عن دمشق أنه يقصدها ويحصرها فعاد . وأمَّا غازي ، فإنه استحصر في خلاط وأخذت منه – كما ذكرناه – وأمَّا صاحب أربل ، فإنه جمع

عسكره ، وسار إلى بلد الموصل وحصرها ونازلها يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة ظناً منه ان الملك الأشرف اذا سمع بنزوله عليها رحل عن خلاط ، ويخرج غازي في طلبه ، فتتخبط أحواله ، وتقوى نفس صاحب دمشق على المجيء إليهم ، فلما نازل الموصل كان صاحبها بدر الدين لؤلؤ قد أحكم امورها، من استخدام الجند على الأسوار،وإظهار آلة الحصار، وإخراج الذخائر، وإنما قوي طمع صاحب إربل على حصر الموصل لأن اكثر عسكرها كان قد سار إلى الملك الأشرف إلى خلاط ، وقد قلَّ العسكر فيها، وكان الغلاء شديداً في البلاد جميعها، والسعر في الموصل كل ثلاث مكاكي بدينار، فلهذا السبب أقدم على حصرها ، فلما نزل عليها أقام عشرة أيام ، ثم رحل عنها

يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة، وكان سبب رحيله ،انه رأى امتناع البلد عليه ، وكثرة من فيه ، وعندهم من الذخائر ما يكفيهم الزمان الكثير، ووصل إليه خبر الملك الأشرف انه ملك خلاط ، فانفسخ عليه كل ما كان يؤمله من صاحبها ومن دمشق ، وبقي وحده متلبساً بالأمر، فلما وصلت الاخبار إليه بذلك سقط في يده ، ورأى انه قد اخطأ الصواب ، فرحل عائداً إلى بلده ، وأقام على الزاب ، ومدة مقامه على الموصل لم يقاتلها، إنما كان في بعض الأوقات يجيء بعض الترك الذين له يقاتلون البلد، فيخرج إِليهم بعض الفرسان وبعض الرجالة، فيجري بينهم قتال ليس بالكثير، ثم يتفرقون وترجع كل طائفة إلى صاحبها.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة أول آب ، جاء ببغداد مطر يرعد وبرق ، وجرت المياه بباب البصرة والحربية ، وكذلك بالمحول ، بحيث أن الناس كانوا يخوضون في الماء والوحل بالمحول .

وفيها سار صاحب المخزن إلى يعقوبا في ذي القعدة، فعسف أهلها، فنقل إليه عن انسان منها انه يسبه ، فأحضره وأمر بمعاقبته ، وقال له : لم تَسبني . فقال له : انتم تسبون أبا بكر وعمر لأجل اخذهما فدك وهي عشر نخلات لفاطمة عليها السلام ، وانتم تأخذون مني ألف نخلة ولا اتكلم فعفا عنه .

وفيها وقعت فتنة بواسط بين السنية والشيعة على جاري عادتهم.

وفيها قلت الأمطار في البلاد. فلم يجبى منها شيء إلى شباط ، ثم إنها كانت تجيء في الاوقات المتفرقة مجيئاً قريباً لا يحصل منه الري للزرع ، فجاءت الغلات قليلة، ثم خرج عليها الجراد، ولم يكن في الأرض من النبات ما يشتغل به عنها، فأكلها إلا القليل ، وكان كثيراً خارجاً عن الحدَّ فغلت الأسعار في العراق –والموصل وسائر ديار الجزيرة وديار بكر وغيرها، وقلت الأقوات ، إلا ان اكثر الغلاء كان بالموصل وديار الجزيرة .

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وستمائة

ذكر حصر الكرج مدينة كنجة

في هذه السنة سارت الكرج في جموعها إلى مدينة كنجة من بلاد أران قصدا لحصرها، وامتدوا لها بما امكنهم من القوة لأن أهل كنجة كثير عددهم قوية شوكتهم ، وعندهم شجاعة كبيرة من طول ممارستهم للحرب مع الكرج ، فلما وصلوا إليها، وقاربوا قاتلوا أهلها عدَّة ايام من وراء السور، ولم يظهر من أهلها أحد، ثم في بعض الأيام خرج أهل كنجة، ومن عندهم من العسكر من البلد، وقاتلوا الكرج بظاهر البلد أشدَ قتال وأعظمه ، فلما رأى الكرج ذلك علموا انهم لا طاقة لهم بالبلد، فرحلوا بعد ان اثخن أهل كنجة فيهم { ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا } .

ذكر وصول جلال الدين بن خوارزمشاه إلى خوزستان والعراق

في أول هذه السنة وصل جلال الدين بن خوارزمشاه محمد بن تكش إلى بلاد خوزستان والعراق ، وكان مجيئه من بلاد الهند لأنه كان وصل اليها لما قصد التتر غزنة ، وقد ذكرنا ذلك ، فلما تعذر عليه المقام ببلاد الهند سار عنها على كرمان ووصل إلى اصفهان ، وهي بيد أخيه غياث الدين وقد تقدمت اخباره فملكها وسار عنها إلى بلاد فارس وكان أخوه قد استولى على بعضها كما ذكرناه . فأعاد ما كان أخوه اخذه منها إلى اتابك سعد صاحبها وصالحه وسار من عنده إلى خوزستان فحصر مدينة تستر في المحرَّم ، وبها الأمير مظفر الدين المعروف بوجه السبع مملوك الخليفة الناصر لدين الله ، حافظاً لها او أميراً عليها، فحصره جلال الدين ، وضيق عليه ، فحفظها وجه السبع ، وبالغ في الحفظ والاحتياط ، وتفرق

الخوارزمية ينهبون حتى وصلوا إلى بادرايا وباكسايا وغيرهما ، وانحدر بعضهم إلى ناحية البصرة، فنهبوا هنالك ، فسار إليهم شحنة البصرة، وهو الأمير ملتكين ،فأوقع بهم وقتل منهم جماعة، فدام الحصار نحو شهرين ، ثم رحل

عنها بغتة، وكانت عساكر الخليفة مع مملوكه جمال الدين قشتمر بالقرب منه ، فلما رحل جلال الدين لم يقدر العسكر على منعه فسار إلى ان وصل إلى يعقوبا، وهي قرية مشهورة بطريق خراسان ، بينها وبين بغداد نحو سبعة فراسخ ، فلما وصل الخبر إلى بغداد تجهَّزوا للحصار، واسلحوا السلاح من الجروح والقسي والنشاب والنفط وغير ذلك ، وعاد عسكر الخليفة إلى بغداد، وأمَّا عسكر جلال الدين فنهب البلاد وأهلها، وكان قد وصل هو وعسكره إلى خوزستان في ضر شديدٍ وجهدٍ جهيدٍ وقلّةٍ من الدواب ، والذي معهم ، فهو من الضعف إلى حد لا ينتفع به ، فغنموا من البلاد جميعها، واستغنوا واكثروا من اخذ الخيل والبغال ، فانهم كانوا في غاية الحاجة اليها ، وسار من يعقوبا إلى دقوقا ، فحصرها ، فصعد أهلها إلى السور وقاتلوه وسبوه وأكثروا من التكبير، فعظم ذلك عنده وشق عليه ، وجدَ في قتالهم ، ففتحها عنوة وقهراً ونهبتها عساكره ، وقتلوا كثيرا من أهلها، فهرب من سلم منهم من القتل ، وتفرقوا في البلاد .

ولما كان الخوارزميون على دقوقا سارت سرية منهم إلى البت والراذان ، فهرب أهلها إلى تكريت ، فتبعهم الخوارزميون فجرى بينهم وبين عسكر تكريت وقعة شديدة ، فعادوا إلى العسكر، ولقد رأيت بعض أعيان أهل دقوقا، وهم بنو يعلى ، وهم أغنياء فنهبوا، وسلم احدهم ومعه ولدان له وشيء يسير من المال ، فسيَّر ما سلم معه إلى الشام مع الولدين ليتجر بما ينتفعون به وينفقونه على نفوسهم ، فمات أحد الولدين بدمشق ، واحتاط الحاكم على ما معهم ، فلقد

رأيت أباهم على حالة شديدة –لا يعلمها الا الله – يقول : أخذت الأملاك وقتل بعض الأهل ، وفارقنا من سلم منهم والوطن بهذا القدر الحقير، اردنا نكف به وجوهنا من السؤال ، ونصون أنفسنا، فقد ذهب الولد والمال ، ثم سار إلى دمشق ليأخذ ما سلم مع ابنه الآخر ، فأخذه وعاد إلى الموصل ، فلم يبق غير شهر حتى توفي .

ان الشقي بكل حبل يخنق

وأمَّا جلال الدين فإنه لما فعل بأهل دقوقا ما فعل خافه أهل البوازيج ، وهي لصاحب الموصل ، فأرسلوا إليه يطلبون منه ارسال شحنة اليهم يحميهم ، وبذلوا له شيئاً من المال ، فأجابهم إلى ذلك ، وسيَّر اليهم من يحميهم ، قيل : كان بعض أولاد جنكزخان ملك التتر أسره جلال الدين في بعض حروبه مع التتر، فأكرمه ، فحماهم وأقام بمكانه

اواخر ربيع الآخر، والرسل مترددة بينه وبين مظفر الدين صاحب اربل ، فاصطلحوا فسار جلال الدين إلى اذربيجان ، وفي مدة مقام جلال الدين بخوزستان والعراق ثارت العرب في البلاد، يقطعون الطريق ، وينهبون القرى، ويخيفون السبيل ، فنال الخلق منهم أذى شديد، وأخذوا في طريق العراق قفلين عظيمين ، كانا سائرين إلى الموصل ، فلم يسلم منهم شيء البتة.

ذكر وفاة الملك الأفضل وغيره من الملوك

في هذه السنة في صفر، توفي الملك الأفضل علي بن صلاح الدين يوسف بن ايوب فجأة بقلعة سميساط ، وكان عمره نحو سبع وخمسين سنة، وقد ذكرنا سنة تسع وثمانين وخمسمائة عند وفاة والده – رحمه الله – ملكه مدينة دمشق والبيت المقدس ، وغيرهما من الشام ، وذكرنا سنة اثنتين وتسعين اخذ الجميع منه ، ثم ذكرنا سنة خمس وتسعين ملكه ديار مصر، وذكرنا سنة ست وتسعين أخذها منه ، وانتقل إلى سميساط ، وأقام بها، ولم يزل بها إلى الآن ، فتوفي بها، وكان رحمه الله من محاسن الزمان لم يكن في الملوك مثله ، كان خيّراً عادلاً فاضلاً حليماً كريماً، قلّ أن عاقب على ذنب ، ولم يمنع طالباً، وكان يكتب خطا حسناً وكتابة جيدة، وبالجملة، فاجتمع فيه من الفضائل والمناقب ما تفرَّق في كثير من الملوك ، لا جرم حرم الملك والدنيا، وعاداه الدهر، ومات بموته كل خلق جميل وفعل حميد– فرحمه الله ورضي عنه – ورأيت من كتابته أشياء حسنة، فمما بقي على خاطري منها أنه كتب إلى أصحابه لما أخذت دمشق منه كتاباً من فصوله ،

وأمَّا أصحابنا بدمشق ، فلا علم لي بأحد منهم وسبب ذلك أني :

ـ أيُ صديقٍ سألتُ عنه فَفِي الذلِّ وتحتَ الخُمولِ في الوَطَنِ

ـ وأيّ ضد سألتُ حالَتَهُ سَمِعْتُ مَالَا تُحبُّهُ أذُنِي

فتركت السؤال عنهم ، وهذا غاية الجودة في الاعتذار، عن ترك السؤال عنهم ،ولما مات اختلف أولاده وعمهم قطب الدين موسى ، ولم يقو أحد منهم على الباقين ، ليستبد بالأمر.

ومات مي هذه السنة صاحب ارزن الروم ، وهو مغيث الدين طغرل بن قلج أرسلان ، وهو الذي سيَّر ولده إلى الكرج ، وتنصر وتزوج ملكة الكرج ، ولمَّا مات ملك

بعده ابنه .

ومات فيها ملك ارزنكان ،وتوفي فيها عز الدين الخضر بن إبراهيم بن أبي بكر بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان صاحب خرت برت ، وملك بعده ابنه نور الدين أرتق شاه ، وكان المدير لدولته ودولة والده معين الدين عبد الرحمن .

ذكر خلع شروان شاه وظفر المسلمين بالكرج

في هذه السنة ثار على شروان شاه ولده ، فنزعه من الملك ، وأخرجه من البلاد، وملك بعده ، وسبب ذلك أن شروان شاه كان سيّء السيرة كثير الفساد والظلم يتعرض إلى أموال الرعايا وأملاكهم ، وقيل أيضاً : انه كان يتعرض إلى النساء والولدان ، فاشتدت وطأته على الناس ، فاتفق بعض العسكر مع ولده ، وأخرجوا اباه من البلاد، وملك الابن ، واحسن السيرة، فأحله العسكر والرعية ، وأرسل الولد إلى أبيه يقول له : إني أردت أن أتركك في بعض القلاع ، وأجري لك الجرايات الكثيرة، ولكل من تحب أن يكون عندك ، والذي حملني على ما فعلت معك سؤ سيرتك ، وظلمك لأهل البلاد، وكراهيتهم لك ولدولتك ، فلما رأى الأب ذلك سار إلى الكرج واستنصر بهم ، وقرر معهم أن يرسلوا معه عسكراً يعيدونه إلى ملكه ويعطيهم نصف البلاد، فسيروا معه عسكراً كثيراً ، فسار حتى قارب مدينة شروان ، فجمع ولده العسكر، وأعلمهم الحال ، وقال : إن الكرج متى حصرونا ربما ظفروا بنا وحينئذ لا يُبقي أبي على أحد منا ويأخذ الكرج نصف البلاد وربما أخذوا الجميع وهذا أصر عظيم إننا نسير إليهم جريدة ونلقاهم فإن ظفرنا بهم فالحمد لله وإن ظفروا بنا فالحصر

بين أيدينا فأجابوه إلى ذلك ، فخرج في عسكره ،و هم قليل نحو الف فارس ولقوا الكرج ، وهم في ثلاثة آلاف مقاتل ، فالتقوا واقتتلوا وصبر أهل شروان ، فانهزم الكرج ، فقتل كثير منهم ، وأسر كثير، ومن سلم عاد بأسوأ حال ، وشروان شاه المخلوع معهم ، فقال له مقدمو الكرج : إننا لم نلق بسببك خيراً ولا نؤاخذك بما كان منك ، فلا تقم ببلادنا، ففارقهم ، وبقي متردداً لا يأوي إلى أحد ، واستقر ولده في الملك ، وأحسن إلى الجند والرعية ، وأعاد إلى الناس أملاكهم ومصادراتهم ، فاغتبطوا بولايته .

ذكر ظفر المسلمين بالكرج أيضاً

وفي هذه السنة أيضاً سار جمع من الكرج من تفليس يقصدون أذربيجان والبلاد التي بيد اوزبك ، فنزلوا وراء مضيق في الجبال ، لا يسلك إلا للفارس معه الفرس ، فنزلوا آمنين من المسلمين استضافا لهم ، واغترارا بحصانة موضعهم ، وأنه لا طريق اليهم ، وركب طائفة من العساكر الإسلامية، وقصدوا الكرج ،فوصل إلى ذلك المضيق ، فجازوه مخاطرين ، فلم يشعر الكرج إلا وقد غشيهم المسلمون ، ووضعوا فيهم السيف ، –فقتلوهم كيف شاؤوا وولى الباقون منهزمين لا يلوي والد على ولده ، ولا أخ على أخيه ، وأسر منهم جمع كثير صالح ، فعظم الأمر عليهم ، وعزموا على الأخذ بثارهم والجد في قصد أذربيجان ، واستئصال المسلمين منه وأخذوا يتجهزون على قدر عزمهم ، فبينما هم في ذلك إذ وصل اليهم الخبر بوصول جلال الدين بن خوارزمشاه إلى مراغة – على ما نذكره إن شاء الله – فتركوا ذلك ، وأرسلوا إلى أوزبك صاحب أذربيجان يدعونه إلى الموافقة على ردّ جلال الدين، وخوفوه منه إن لم نتفق نحن وأنت ، وإلا أخذك ، ثم أخذنا ، فعاجلهم جلال الدين قبل اتفاقهم واجتماعهم ، فكان – ما نذكره إن شاء الله تعالى –.

ذكر ملك جلال الدين أذربيجان

في هذه السنة استولى جلال الدين على أذربيجان، وسبب ذلك انه لمّا سار من دقوقا – كما ذكرناه – قصد مراغة، فملكها، وأقام بها، وشرع في عمارة البلد، فاستحسنه ، فلما وصل اليها أتاه الخبر أن الأمير إيغان طائيسي – وهو خال أخيه غياث الدين – قد قصد همذان قبل وصول جلال

الدين بيومين ، وكان إيغان طائيسي هذا قد جمع عسكراً يتجاوز خمسين الف فارس ، ونهب كثيرا من أذربيجان ، وسار إلى البحر من بلد أران ، فشتى هنالك لقلة البرد،ولما عاد إلى 1 همذان نهب أذربيجان أيضاً مرة ثانية، وكان سبب مسيره إلى همذان أن الخليفة الناصر لدين الله راسله ، وأمره بقصد همذان ، وأقطعه إياها وغيرها ، فسار ليستولي عليها كما أمر، فلمّا سمع جلال الدين بذلك سار جريدة إليه ، فوصل إلى إيغان طائيسي ليلاً، وكان إذا نزل جعل حول عسكره جميع ما غنموا من أذربيجان وأران من خيل وبغال وحمير وبقر وغنم ، فلما وصل جلال الدين أحاط بالجميع ، فلما أصبح عسكر إيغان طائيسي ، ورأى العسكر، والجتر الذي يكون

على رأس السلطان علموا أنه جلال الدين ، فسقط في أيديهم لأنهم كانوا يظنونه عند دقوقا، فأرسل ايغان طائيسي زوجته وهي اخت جلال الدين تطلب له الأمان ، فأمنه وأحضره عنده ، وانضاف عسكره إلى جلال الدين ، وبقي إيغان طائيسي وحده إلى ان أضاف إليه جلال الدين عسكراً غير عسكره ، وعاد إلى مراغة ، وأعجبه المقام بها ، وكان أوزبك بن البهلوان ، صاحب أذربيجان وأران قد سار من تبريز إلى كنجة خوفا من جلال الدين ، وأرسل جلال الدين إلى من في تبريز من وال وأمير ورئيس يطلب منهم أن يتردد عسكره إليهم يمتارون ، فأجابوه إلى ذلك وأطاعوه ، فتردد العسكر اليها ، وباعوا واشتروا الأقوات والكسوات وغيرها ، ومدوا أيديهم إلى أموال الناس ، فكان أحدهم يأخذ الشيء ويعطي الثمن ما يريد، فشكا بعض أهل تبريز إلى جلال الدين منهم ، فأرسل إليهم شحنة يكون عندهم ، وأمر أن يقيم بتبريز، ويكف أيدي الجند عن أهلها، ومن تعدى على أحد منهم صلبه ،فأقام الشحنة، ومنع الجند من التعدي على أحد من الناس ، وكانت زوجة أوزبك ، وهي ابنة السلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه مقيمة بتبريز، وهي كانت الحاكمة في بلاد زوجها، وهو مشغول بلذاته من أكل وشرب ولعب .

ثم إن أهل تبريز شكوا من الشحنة، وقالوا انه يكلفنا اكثر من طاقتنا، فأمر جلال الدين أنه لا يعطي إلا ما يقيم به لا غير، ففعلوا ذلك ، وسار جلال الدين إلى تبريز، وحصرها خمسة أيام ، وقاتل أهلها قتالًا شديداً ، وزحف اليها، فوصل العسكر

إلى السور، فأذعن أهلها بالطاعة ، وأرسلوا يطلبون الأمان منه لأنه كان يذمهم ، ويقول : قتلوا أصحابنا المسلمين ، وأرسلوا رؤوسهم إلى التتر الكفار، وقد تقدّمت الحادثة سنة إحدى وعشرين وستمائة، فخافوا منه لذلك ، فلما طلبوا الأمان ذكر لهم فعلهم بأصحاب أبيه وقتلهم ، فاعتذروا بأنهم لم يفعلوا شيئا من ذلك ، وإنما فعله صاحبهم ، ولم يكن لهم من القدرة ما يمنعونه ، فعذرهم وأمنهم ، وطلبوا منه أن يؤمن زوجة أوزبك ، ولا يعارضها في الذي لها بأذربيجان ومدينة خوى وغيرها من ملك ومال وغيره ، فأجابهم إلى ذلك وملك البلد سابع عشر رجب من هذه السنة وسيَّر زوجة أوزبك إلى خوى، ومعها طائفة من العسكر من رجل كبير القدر عظيم المنزلة ، وأمرهم بخدمتها ، فإذا وصلت إلى خوى عادوا عنها ، ولما رحل جلال الدين إلى تبريز أمر ان لا يمنعوا عنه احداً من أهلها ، فأتاه الناس مسلّمين عليه ، فلم يحجبوا عنه ، وأحسن إليهم ، وبث فيهم العدل ، ووعدهم

الإحسان والزيادة منه ، وقال لهم : قد رأيتم ما فعلت بمراغة من الاحسان والعمارة بعد أن كانت خرابا ، وسترون كيف أصنع معكم من العدل فيكم وعمارة بلادكم ، وأقام إلى يوم الجمعة، فحضر الجامع ، فلما خطب الخطيب ودعا للخليفة، قام قائما، ولم يزل كذلك حتى فرغ من الدعاء وجلس ، ودخل إلى كشك كان أوزبك قد عمره ، وأخرج عليه من الأموال كثيرا ، فهو في غاية الحسن مشرف على البساتين ، فلما طاف فيه خرج منه وقال : وهذا مسكن الكسالى لا يصلح لنا، وأقام أياما استولى فيها على غيرها من البلاد، وسير الجيوش إلى بلاد الكرج .

ذكر انهزام الكرج من جلال الدين

قد ذكرنا فيما تقدُّم من السنين ما كان الكرج يفعلونه في بلاد الاسلام ، خلّاط وأعمالها ، وأذربيجان ، وأران ، وأرزن الروم ، ودربند شروان ، وهذه ولايات تجاور بلادهم ، وما كانوا يسفكون من دماء المسلمين ، وينهبون من أموالهم ، ويملكون من بلادهم ، والمسلمون معهم في هذه البلاد تحت الذلّ والخزي كل يوم ، قد أغاروا وفتكوا فيهم ، وقاطعوهم على ما شاؤوا من الأموال ، فكنا كلما سمعنا بشيء من ذلك شم لنا الله تعالى، نحن والمسلمون في أن ييسر للِإسلام والمسلمين من يحميهم ، وينصرهم ، ويأخذ بثارهم ، فإن أوزبك صاحب أذربيجان منعكف على شهوة بطنه وفرجه ، لا يفيق من سكره وإن هو أفاق ، فهو مشغول بالقمار بالبيض ، وهذا ما لم يسمع أن أحداً من لمملوك فعله لا يهتدي لمصلحة ولا يغضب لنفسه ، بحيث ان بلاده مأخوذة ، وعساكره طماعة

، ورعيته قد قهرها ، وقد كان كل من أراد أن يجمع جمعاً، ويتغلب على بعض البلاد ، فعل – كما ذكرناه – من حال بغدي وأيبك الشامي وإيغان طائيسي ، فنظر الله تعالى إلى أهل هذه البلاد المساكين بعين الرحمة، فرحمهم ويسر لهم جلال الدين هذا ففعل بالكرج ما تراه ، وانتقم للإسلام والمسلمين منهم ، فنقول : في هذه السنة كان المصاف بين جلال الدين ، وبين الكرج في شهر شعبان ، فإن جلال الدين من حين قصد إلى هذه النواحي لا يزال يقول : إنني أريد أقصد بلاد الكرج ، واقاتلهم ، وأملك بلادهم ، فلمّا ملك أذربيجان أرسل إليهم يؤذنهم ، فأجابوه بأننا قد قصدنا التتر الذين فعلوا بأيبك ، وهو أعظم منك ملكاً، وأكثر عسكراً، وأقوى نفسا ما تعلمه ، وأخذوا بلادكَم ، فلم نبال بهم ، وكان قصاراهم السلامة منا ، وشرعوا يجمعون العساكر،

فجمعوا ما يزيد على سبعين ألف مقاتل ، فسار اليهم ، فملك مدينة دوين ، وهي للكرج كانوا قد أخذوها من المسلمين – كما ذكرناه – وسار منها اليهم ، فلقوه وقاتلوه اشد قتال ، وألخمه وصبر كل منهم لصاحبه ، فانهزم الكرج ، وأمر ان يقتلوا بكل طريق ، ولا يبقوا على أحد منهم ، فالذي تحققنا انه قتل منهم عشرون ألفا، وقيل : اكثر من ذلك ، فقيل : الكرج جميعهم قتلوا وافترقوا، وأسر كثير من أعيانهم ، من جملتهم شلوة، فتمت الهزيمة عليهم ، ومضى إيواني منهزما، وهو المقدم على الكرج جميعهم ، ومرجعهم إليه ، ومعولهم عليه ، وليس لهم ملك إنما الملك امرأة، ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : << لن يفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة >> فلما انهزم إيواني أدركه الطلب ، فصعد قلعة لهم على طريقهم ، فاحتمى فيها، وجعل جلال الدين عليها من يحصرها ويمنعه من النزول ، وفرق عساكره في بلاد الكرج ينهبون ويقتلون ويسبون ويخربون البلاد، فلولا ما أتاه من تبريز ممّا أوجب عوده لملك البلاد بغير تعب ولا مشقة لأن أهلها كانوا قد هلكوا، فهم بين قتيل وأسير وطريد.

ذكر عود جلال الدين إلى تبريز وملكه مدينة كنجة ونكاحه زوجة أوزبك

لما فرغ جلال الدين من هزيمة الكرج ، ودخل البلاد وبث العساكر فيها أمرهم بالمقام بها مع أخيه غياث الدين ، وعاد إلى تبريز، وسبب عوده انه كان قد خلف وزيره شرف الدين في تبريز، ليحفظ البلد، وينظر في مصالح الرعية، فبلغه عن رئيس تبريز، وشمس الدين الطغرائي ، وهو المقدم على كل من في البلد وعن غيرهما من المقدمين ، انهم قد اجتمعوا

وتحالفوا على الامتناع على جلال الدين ، واعادة البلد إلى اوزبك ، وقالوا : إن جلال الدين قد قصد بلاد الكرج ، فلا يقدر على المقام ، ويجتمع اوزبك والكرج ، ويقصدونه ، فينحل نظام امره ، وتتم عليه الهزيمة فبنوا أمرهم على ان جلال الدين يسير الهوينا إلى بلاد الكرج ، ويتريث في الطريق احتياطا منهم ، فلما اتَفقوا على ذلك أتى الخبر إلى ،الوزير، فأرسل إلى جلال الدين يعرّفه الحال ، فأتاه الخبر، وتد قارب بلاد الكرج ، فلم يظهر من ذلك شيئا، وسار نحو الكرج مجدَّاً فلقيهم وهزمهم ، فلما فرغ منهم ، قال لأمراء عسكره : إنَّني قد بلغني من الخبر كذا وكذا، فتقيمون انتم في البلاد على ما انتم عليه ،– من قتل من ظفرتم به ، وتخريب ما امكنكم فن بلادهم ، فإنني خفت ان اعرفكم قبل هزيمة الكرج لئلا يلحقكم وهن وخوف ، فأقاموا على

حالهم ، وعاد هو إلى تبريز، وقبض على الرئيس والطغرائي وغيرهما ، فأمّا الرئيس فأمر أن يطاف به على أهل البلد، وكل من له عليه مظلمة، فليأخذها منه ، وكان ظالماً، ففرح الناص بذلك ، ثم قتله ، وأمَّا الباقون ، فحبسوا ، فلما فرغ منهم واستقام له أمر البلد تزوج زوجة أوزبك ابنة السلطان طغرل ، وإنما صحَّ له نكاحها، لانه ثبت عن اوزبك انه حلف بطلاقها انه لا يقتل مملوكا له اسمه . . . . ، ثم قتله ، فلمّا وقع الطلاق بهذا اليمين نكحها جلال الدين ، وأقام بتبريز مدَة وسيَّر منها جيشاً إلى مدينة كنجة ، فملكوها وفارقها أوزبك إلى قلعة كنجة ، فتحصن فيها ، فبلغني ان عساكر جلال الدين تعرضوا إلى اعمال هذه القلعة بالنهب والأخذ ، فأرسل أوزبك إلى جلال الدين يشكو، ويقول : كنت لا ارضى بهذه الحال لبعض اصحابي ، فأنا أسأل ان نكفَّ الايدي المتطرقة إلى هذه الأعمال عنها، فأرسل جلال الدين اليها من يحميها من التعرض لها من اصحابه وغيرهم .

ذكر وفاة الخليفة الناصر لدين الله

في هذه السنة آخر ليلة من شهر رمضان ، توفي الخليفة الناصر لدين الله ، أبو العباس احمد بن المستضيء بأمر الله ، أبي محمد الحسن بن المستنجد بالله ، أبي المظفر يوسف بن المقتفي لأمر الله ، أبي العباس محمد بن المقتدي بأمر اللّه ، أبي القاسم عبد الله بن الذخيرة محمَّد بن القائم بأمر الله ، أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله ، أبي العباس احمد بن اسحق بن المقتدر باللّه ، أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله ، أبي العباس احمد بن الموفق ، أبي احمد محمد بن جعفر

المتوكل على الله ، ولم يكن الموفق خليفة، وإنما كان ولي عهد أخيه المعتمد على الله ، فمات قبل المعتمد، فصار ولده المعتضد بالله ، ولي عهد المعتمد على الله ، وكان المتوكل على الله بن المعتصم بالله أبي اسحق بن هرون الرشيد بن محمد المهدي بن أحي جعفر عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله أبي جعفر بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهم .

نَسَبٌ كأنَ عليه من شَمْسِ الضحى لم نوراً ومن فَلَقِ الصباح عموداً

فكان في آبائه أربعة عشر خليفة ،وهم كل من له لقب ، والباقون غير خلفاء، وكان فيهم من ولي العهد محمد بن القائم ،والموفق بن المتوكل ، وأمَّا باقي الخلفاء من بني

العباس ، فلم يكونوا من آبائه ، فكان السفاح أبو العباس عبد الله أخا المنصور ولي قبله ، وكان موسى أخا الرشيد ولي قبله ، وكان محمد الأمين وعبد الله المأمون ابنا الرشيد أخوي المعتصم وليا قبله ، وكان محمد المنتصر بن المتوكل ولي بعده ، ثم ولي بعد المنتصر بالله المستعين بالله أبو العباس احمد بن محمد بن المعتصم ،وولي بعد المستعين المعتز بالله محمد وقيل طلحة وهو ابن المتوكل ، وولي بعد المعتز المهتدي بالله محمد بن الواثق ، ثم ولي بعده المعتمد على الله احمد بن المتوكل ، فالمنتصر، والمعتز، والمعتمد أخوه الموفق والمهتدي ابن عمه ، والموفق من اجداد الناصر لدين الله ، ثم ولي المعتضد بعد المعتمد، وولي بعد المعتضد ابنه ابو محمد علي المكتفي بالله ،وهو أخو المقتدر بالله ، وولي بعد المقتدر أخوه القاهر باللّه ابو منصور محمد بن المعتضد، وولي بعد القاهر الراضي بالته ابو العباس محمد بن المقتدر، ثم ولي بعده المقتفي لته ابو اسحق ابراهيم بن المقتدر، ثمّ ولي بعده المكتفي بالله ابو القاسم عبد الله بن المكتفي بالته علي بن المعتضد، ثم ولي بعده المطيع للّه ابو بكر عبد الكريم فالقاهر أخو المقتدر والراضي والمقتفي والمطيع بنوه والمستكفي ابن أخيه المكتفي ، ثم ولي بعد الطائع القادر بالله ، وهو من اجداد الناصر لدين الله ، ثَم ولي بعد المستظهر باللّه ، ثم ولي بعده ابنه المسترشد بالته ابو منصور وولي بعد المسترشد بالله ابنه الراشد ابو جعفر فالمسترشد أخو المقتفي والراشد ابن أخيه فجميع من ولي الخلافة ممن ليس في سياق نسب الناصر تسعة عشر خليفة،

وكانت أم الناصر أم ولد تركية اسمها زمرد، وكانت خلافته ستاً وأربعين سنة وعشرة اشهر وثمانية وعشرين يوما، وكان عمره نحو سبعين سنة تقريباً، فلم يل الخلافة أطول مدة منه إلا ما قيل عن المستنصر بالله العلوي صاحب مصر، فإنه ولي ستين سنة، ولا اعتبار به فانه ولي له سبع سنين فلا تصح ولايته ، وبقي الناصر لدين الله ثلاث سنين عاطلاً عن الحركة بالكلية ، وقد ذهبت احدى عينيه والأخرى يبصر بها إبصاراً ضعيفاً ، وفي آخر الأمر أصابه دوسنطاريا عشرين يوماً ومات ، ووزر له عدة وزراء ، وقد تقدم ذكرهم .

ولم يطلق في طول مرضه شيئاً كان احدثه من الرسوم الجائرة، وكان قبيح السيرة في رعيته ظالما، فخرب في أيامه العراق ، وتفرق أهله في البلاد، وأخذ املاكهم واموالهم ، وكان يفعل الشيء وضده ، فمن ذلك انه عمل دور الضيافة ببغداد ليفطر

الناس عليها في رمضان ، فبقيت مدة ثم قطع ذلك ثم عمل دور الضيافة للحجاج ، فبقيت مدة ثم ابطلها، واطلق بعض المكوس التي جددها ببغداد خاصة، ثم اعادها وجعل جل همه في رمي البندق والطيور المناسيب وسراويلات الفتوة ، فبطل الفتوة في البلاد جميعها إلا من يلبس منه سراويل يدعى إليه ، ولبس كثير من الملوك منه سراويلات الفتوة، وكذلك أيضاً منع الطيور المناسيب لغيره إلا ما يؤخذ من طيوره ، ومنع الرمي بالبندق الا من ينتمي إليه ، فأجابه الناس بالعراق وغيره إلى ذلك إلا انسانا واحدا يقال له : ابن السفت من بغداد، فإنه هرب من العراق ولحق بالشام ، فأرسل إليه يرغبه في المال الجزيل ليرمي عنه ، وينسب في الرمي إليه ، فلم يفعل ، فبلغني ان بعض اصدقائه أنكر عليه الامتناع من اخذ المال ، فقال : يكفيني فخرا انه ليس في الدنيا أحد إلا رمى للخليفة إلا أنا، فكان غرام الخليفة بهذه الاشياء من اعَجب الأمور، وكان سبب ما ينسبه العجم إليه صحيحاً من انه هو الذي اطمع التتر في البلاد، وراسلهم في ذلك ، فهو الطامة الكبرى التي يصغر عندها كل ذنب عظيم .

ذكر خلافة الظاهر بأمر الله

قد ذكرنا سنة خمس وثمانين وخمسمائة الخطبة للأمير ابي نصر محمد بن الخليفة الناصر لدين لله بولاية العهد في العراق وغيره من البلاد، ثم بعد ذلك خلعه الخليفة من ولاية العهد وأرسل إلى البلاد في قطع الخطبة له ، وإنما فعل ذلك لأنه كان يميل إلى ولده الصغير علي ، فاتَّفق ان الولد الصغير توفّي سنة اثنتي عشر وستمائة، ولم يكن للخليفة ولد غير

ولي العهد، فاضطر إلى اعادته إلا انه تحت الاحتياط والحجر لا يتصرف في شيء ، فلما توفى أبؤ وَليَ الخلافة واحضر الناس لأخذ البيعة، وتلقب بالظاهر بأمر الله وعنى أن أباه وجميع اصحابه أرادوا صرف الأمر عنه ، فظهر وولي الخلافة بأمر الله لا يسعى من أحد ، ولما ولي الخلافة أظهر من العدل والاحسان ما اعاد به سنة العمرين ، فلو قيل إنه لم يل الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان القائل صادقاً، فإنه اعاد من الأموال المغصوبة في أيام أبيه وقبله شيئاً كثيراً ، واطلق المكوس في البلاد جميعها، وأمر بإعادة الخراج القديم في جميع العراق ، وأن يسقط جميع ما جدده أبوه ، وكان كثيراً لا يحصى ، فمن ذلك أن قرية يعقوبا كان يحصل منها قديما نحو عشرة آلاف دينار، فلما تولى الناصر لدين الله كان يؤخذ منها كل سنة ثمانون الف دينار،

فحضر أهلها واستغاثوا ، وذكروا أن املاكهم أخذت حتى صار يحصل منها هذا المبلغ ، فأمر أن يؤخذ الخراج الأول ، وهو عشرة آلاف دينار، فقيل له ان هذا المبلغ يصل إلى المخزن ، فمن أين يكون العوض ، فأقام لهم العوض من جهات أخرى، فإذا كان المطلق من جهة واحدة سبعين ألف دينار، فما الظنُّ بباقي البلاد، ومن أفعاله الجميلة أنَه أمر بأخذ الخراج الأول من باقي البلاد جميعها ، فحضر كثير من أهل العراق ، وذكروا ان الأملاك التي كان يؤخذ منها الخراج قديما قد يبس أكثر اشجارها، وخربت ، ومتى طولبوا بالخراج الأول لا يفي دخل الباقي بالخراج ، فأمر أن لا يؤخذ الخراج إلا من كل شجرة سليمة، وأمَّا الذهب فلا يؤخذ منه شيء ، وهذا عظيم جدا، ومن ذلك أيضاً ان المخزن كان له صنجة الذهب تزيد على صنجة البلد نصف قيراط يقبضون بها المال ، ويعطون بالصنجة التي للبلد يتعامل بها الناس ، فسمع بذلك ، فخرج خطه إلى الوزير وأوله ، { ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم }(ا) وقد بلغنا أن الأمر كذا وكذا، فتعاد صنجة المخزن إلى الصنجة التي يتعامل بها المسلمون واليهود والنصارى، فكتب بعض النواب إليه يقول : إن هذا مبلغ كثير، وقد حسبناه ، فكان في السنة الماضية خمسة وثلاثين ألف دينار، فأعاد الجواب ينكر على القائل ، ويقول لو انه ثلاثمائة الف وخمسون الف دينار يطلق ، وكذلك أيضاً فعل في إطلاق زيادة الصنجة التي للديوان ، وهي في كل دينار حبة، وتقدَم إلى القاضي أن كل من عرض

عليه كتاباً صحيحاً بملك يعيده إليه من غير إذن ، وأقام رجلًا صالحاً في ولاية الحشرى وبيت المال ، وكان الرجل حنبلياً ، فقال : إنني من مذهبي أن أورث ذوي الأرحام ، فإن أذن أمير المؤمنين أن أفعل ذلك ولّيت وإلا فلا، فقال له أعط كل ذي حق حقه ، واتق الله ولا تتق سواه.

ومنها ان العادة كانت ببغداد أن الحارس بكل درب يبكر ويكتب مطالعة إلى الخليفة بما تجدَّد في دربه من اجتماع بعض الأصدقاء ببعض ، على نزهة أو سماع أو غير ذلك ، ويكتب ما سوى ذلك من صغير وكبير، فكان الناس من هذا في حجر عظيم ، فلما ولي هذا الخليفة جزاه الله خيراً أتته المطالعات على العادة، فأمر بقطعها ، وقال : أي غرض لنا في معرفة أحوال الناس في بيوتهم ، فلا يكتب أحد الينا إلا ما يتعلق

(ا) سورة المطففين 2 .

بمصالح دولتنا، فقيل له : إن العامة تفسد بذلك ، ويعظم شرها، فقال : نحن ندعو الله في أن يصلحهم .

ومنها انه لما ولي الخلافة وصل صاحب الديوان من واسط ، وكان قد سار اليها أيام الناصر لتحصيل الأموال ، فاصعد ومعه من المال ما يزيد على مائة الف دينار، وكتب مطالعة تتضمن ذكر ما معه ، ويستخرج الأمر في حمله ، فأعاد الجواب بأن يعاد إلى أربابه فلا حاجة لنا إليه ، فأعيد عليهم .

ومنها أنه أخرج كل من كان في السجون ، وأمر بإعادة ما أخذ منهم ، وأرسل إلى القاضي عشرة آلاف دينار ليعطيها عن كل من هو محبوس في حبس الشرع ، وليس له مال ، ومن حسن نيته للناس أن الأسعار في الموصل وديار الجزيرة كانت غالية، فى خصت الأسعار، وأطلق حمل الأطعمة إليها، وأن يبيع كل من أراد البيع للغلة، فحمل منها الكثير الذي لا يحصى فقيل له ان السعر قد غلا شيئاً والمصلحة منع حمله ، فقال أولئك مسلمون وهؤلاء مسلمون ، وكما يجب علينا النظر في أمر هؤلاء كذلك يجب علينا النظر لأولئك ، وأمر أن يباع من الأهراء التي له طعام أرخص مما يبيع غيره ، ففعلوا ذلك ، فرخصت الأسعار عندهم أيضاً اكثر مما كانت أولا، وكان السعر في الموصل لما ولي كل مكوكين بدينار، وثلثي قيراط ، فصار كل أربعة مكاكيك بدينار في أيام قليلة ، وكذلك باقي الأشياء من التمر والدبس والأرز والسمسم وغيرها ، فالله تعالى يؤيده وينصره ويبقيه ، فإنه غريب في هذا الزمان الفاسد، ولقد سمعت عنه كلمة اعجبتني جدا، وهي أنه قيل له

: في الذي يخرجه ويطلقه من الأموال التي لا تسمح نفس ببعضها، فقال لهم : أنا فتحت الدكان بعد العصر، فاتركوني أفعل الخير فكم أعيش وتصدق ليلة عيد الفطر من هذه السنة، وفرَّق في العلماء وأهل الدين مائة ألف دينار .

ذكر ملك بدر الدين قلعتي العمادية وهرور

في هذه السنة ملك بدر الدين قلعة العمادية من أعمال الموصل . وقد تقدم ذكر عصيان أهلها عليه سنة خمس عشرة وستمائة، وتسليمها إلى عماد الدين زنكي ، ثم عودهم إلى طاعة بدر الدين ، وخلافهم على عماد الدين ، فلما عادوا إلى بدر الدين

أحسن إليهم ، وأعطاهم الاقطاع الكثير، وملكهم القرى، ووصلهم بالأموال الجزيلة ، والخلع السنية ، فبقوا كذلك مدَّة يسيرة ، ثم شرعوا يراسلون عماد الدين زنكي ، ومظفر الدين صاحب اربل ، وشهاب الدين غازي بن العادل ، لمَّا كان بخلّاط ، ويعدون كلاً منهم بالانحياز إليه والطاعة له ، وأظهروا من المخالفة لبدر الدين ما كانوا يبطنونه ، فكانوا يمكنون أن يقيم عندهم من أصحاب بدر الدين إلا من يريدونه ، ويمنعون من كرهوه ، فطال الأمر، وهو يحتمل فعلهم ويداريهم ، وهم لا يزدادون إلا طمعا وخروجا عن الطاعة ، وكانوا جماعة فاختلفوا ، فقوي بعضهم ، وهم أولاد خواجة إبراهيم وأخوه ومن معهم على الباقين ، فأخرجوهم عن القلعة، وغلبوا عليها، وأصروا على ما كانوا عليه من النفاق ، فلما كان هذه السنة سار بدر الدين إليهم في عساكره ، فأتاهم بغتة فحصرهم وضيَّق عليهم ، وقطع الميرة عنهم ، وأقام بنفسه عليهم ، وجعل قطعة من الجيش على قلعة هرور يحصرونها، وهي من أمنع الحصون وأحصنها لا يوجد مثلها، وكان أهلها أيضاً قد سلكوا طريق أهل العمادية من عصيان وطاعة ومخادعة، فأتاهم العسكر وحصروهم ، وهم في قلّة من الذخيرة، فحصروها أياما ففني ما في القلعة، فأضطر أهلها إلى التسليم ، فسلموها ، ونزلوا منها ، وعاد العسكر إلى العمادية ، فأقاموا عليها مع بدر الدين فبقي بدر الدين بعد أخذ هرور يسيرا وعاد إلى الموصل ، وترك العسكر بحاله مقيما عليهم مع نائبه أمين الدين لؤلؤ، فبقي الحصار إلى أول ذي القعدة ، فأرسلوا يذعنون بالطاعة ويطلبون العوض عنها ليسلموها،

فاستقرَّت القواعد على العوض من قلعة يحتمون فيها وأقطاع ومال وغير ذلك ، فأجابهم بدر الدين إلى ما طلبوا ، وحضر نوابهم ليحلفوا بدر الدين ، فبينما هو يريد أن يحلف لهم ، وقد احضر من يشهد اليمين إذ قد وصل طائر من العمادية ، وعلى جناحه رقعة من أمين الدين لؤلؤ يخبرانه قد ملك إلى مادية قهراً وعنوة وأسر بني خواجة الذين كانوا تغلبوا عليه ، فامتنع بدر الدين من اليمين .

وأمَّا سبب غلبة أمين الدين عليها، فإنه كان قد ولاه بدر الدين عليها لمَّا عاد أهلها إلى طاعته ، فبقي فيها مدة، فاحسن اليهم ، واحسن السيرة فيهم ، واستمال جماعة منهم ليتقوَّى بهم على الحزب الذين عصوا أولا، فنمي الخبر اليهم ، فأساؤوا مجاورته واستقالوا من ولايته عليهم ، ففارقهم إلى الموصل ، وكان اولئك الذين استمالهم يكاتبونه ويراسلونه ، فلما حصرهم كانوا أيضاً يكاتبونه في النشاب ، يخبرونه بكل ما

يفعله أولاد خواجه من انفاذ رسول وغير ذلك ، وبما عندهم من الذخائر إلا انهم لم يكونوا في الكثرة إلى انهم يقهرون أولئك ، فلما كان الآن ، واستقرت القواعد من التسليم لم يذكر أولاد خواجة احداً من جند القلعة في نسخة اليمين بمال ولا غيره من امام واقطاع ، فسخطوا هذه الحال ، وقالوا لهم : قد حلفتم لأنفسكم بالحصون والقرى والمال ، ونحن قد خربت بيوتنا لأجلكم ، فلم تذكرونا، فأهانوهم ولم يلتفتوا إليهم ، فحضر عند أمين الدين رجلان منهم ليلاً، وطلبوا منه أن يرسل إليهم جمعا يصعدونهم إلى القلعَة ويثبتون بأولئك ويأخذونهم ، فامتنع وقال : أخاف أن لا يتم هذا الأمر، وينفسد علينا كل ما فعلناه ، فقالوا : نحن نقبض عليهم غداً بكرة، وتكون أنت والعسكر على ظهر، فإذا سمعتم النداء باسم بدر الدين وشعاره تصعدون إلينا، فأجابهم إلى ذلك ، وركب بكرة هو والعسكر على العادة . وأمَّا أولئك فانهم اجتمعوا وقبضوا على أولاد خواجة ومن معهم ونادوا بشعار بدر الدين ، فبينما العسكر قيام اذا الصوت من القلعة باسم بدر الدين ، فصعدوا اليها وملكوها، وتسلم أمين الدين أولاد خواجه ، فحبسهم وكتب الرقعة على جناح الطائر بالحال ، وملكوا القلعة صفوا عفوا بغير عوض ، وكان يريد أن يغرم مالا جليلا وأقطاعا كثيرة، وحصنا منيعا، فتوفر الجميع عليه ، وأخذ منهم كل ما احتقبوه وادخروه ، لاذا أراد الله أمرا فلا مرد له .

في هذه السنة ليلة الأحد والعشرين من صفر، زلزلت الأرض بالموصل وديار الجزيرة والعراق وغيرها زلزلة متوسطة .

وفيها اشتدَّ الغلاء بالموصل وديار الجزيرة جميعها، فأكل الناس الميتة والكلاب والسنانير، فقلَّ الكلاب والسنانير بعد أن كانوا كثيراً، ولقد دخلت يوما إلى داري ، فرأيت الجواري يقطعن اللحم ليطبخوه ، فرأيت سنانير استكثرتها ، فعددتها فكانت اثني عشر سنوراً ، ورأيت اللحم في هذه الغلاء في الدار، وليس عنده من يحفظه من السنانير لعدمها، وليس بين المرتين كثير، وغلا مع الطعام كل شيء ، فبيع الرطل الشيرج بقيراطين بعد ان كان بنصف قيراط قبل الغلاء، وأمَّا قبل ذلك فكان كل ستين رطلاً بدينار، ومن العجب ان السلق والجزر والسلجم بيع كل خمسة ارطال بدرهم ، وبيع البنفسج كل ستة أرطال بدرهم ، وبيع في بعض الأوقات كل سبعة أرطال بدرهم ، وهذا

ما لم يسمع بمثله ، ولقد رأينا ما لم نر ولا سمعنا بمثله ، فإن الدينار ما زالت قديما –وحديثا إذا غلت الأسعار متى جاء المطر رخصت ، إلا هذه السنة ، فإن الأمطار ما زالت متتابعة من أول الشتاء إلى آخر الربيع ، وكلما جاء المطر غلتِ الأسعار، وهذا ما لم يسمع بمثله ، فبلغت الحنطة مكوك وثلث بدينار وقيراط ، يكون وزنه خمسة وأربعين رطلا دقيقا بالبغدادي ، وكاد الملح مكوك بدرهم ، فصار المكوك بعشرة دراهم ، وكان الأرز مكوك باثني عشر درهماً ، فصار المكوك بخمسين درهما ، وكان التمر كل اربعة ارطال وخمسة أرطال بقيراط ، فصار كل رطلين بقيراط .

ومن عجيب ما يحكى أن السكر النادر الأسمر كان كل رطل بدرهم ، وكان السكر الأبلوج المصري النقي كل رطل بدرهمين ، فصار السكر الأسمر كل رطل بثلاثة دراهم ونصف ، والسكر الأبلوج كل رطل بثلاثة دراهم وربع ، وسببه أن الأمراض لما كثرت ، واشتد الوباء قال النساء : هذه الأمراض باردة والسكر الأسمر حار، فينفع منها ، والأبلوج بارد يقويها، وتبعهن الأطباء استمالة لقلوبهن ولجهلهن ، فغلا الأسمر بهذا السبب ، وهذا من الجهل المفرط ، وما زالت الأشياء هكذا إلى أول الصيف ، واشتد الوباء، وكثر الموت والمرض في الناس ، فكان يحمل على النعش الواحد عدة من الموتى ، فممَّن مات فيه شيخنا عبد المحسن بن عبد الله الخطيب الطوسي خطيب الموصل ، وكان من صالحي المسلمين ، وعمره ثلاث وثمانون سنة وشهور.

وفيها انخسف القمر ليلة الثلاثاء خامس عشر صفر.

وفيها هرب أمير حاج العراق ، وهو حسام الدين أبو فراس الحلي الكردي الوارمي ،وهو ابن أخي الشيخ ورام ، كان عمه من صالحي المسلمين وخيارهم من أهل الحلة السيفية، فارق الحاج بين مكَّة والمدينة، وسار إلى مصر، حكى لي بعض أصدقائه انه إنما حمله على الهرب كثرة الخرج في الطريق ، وقلة المعونة من الخليفة، ولما فارق الحاج خافوا خوفاً شديداً من الجرب ، فأمن الله خوفهم ولم يرفعهم ذاعر في جميع الطريق ، ووصلوا آمنين إِلا أن كثيراً من الجمال هلك اصابها غدَّة عظيمة لم يسلم الا القليل .

وفيها في آب جاء مطر شديد ورعد وبرق ، ودام حق جرت الأودية وامتلأت الطرق

بالوحل ،ثم جاء الخبر من العراق والشام والجزيرة وديار بكر، انه كان عندهم مثله ، ولم يصل إلينا أحد الا واخبر ان المطر كان عندهم في ذلك التاريخ .

وفيها كان في الشتاء ثلج كثير، ونزلت بالعراق ، فسمعت انه نزل في جميع العراق حتى في البصرة، أما إلى واسط فلا شك فيه ، وأمَّا البصرة فإن الخبر لم يكثر عندنا بنزوله فيها .

وفيها خرجت قلعة الزعفران من أعمال الموصل ، وهي حصنٌ مشهور يعرف قديماً بدير الزعفران ، وهو على جبل عال قريب من فرشابور .

وفيها أيضاً خربت القلعة الجديدة من بلد الهكارية من اعمال الموصل أيضاً، وأضيف عملها وقراها إلى العمادية .

وفيها في ذي الحجة سار جلال الدين بن خوارزم شاه من تبريز إلى بلد الكرج قاصداً لأخذ بلادهم واستئصالهم ، وخرجت السنة، ولم يبلغنا انه فعل بهم شيئاً ، ونحن نذكر ما فعله بهم سنة ثلاث وعشرين وستمائة إن شاء الله .

وفيها ثالث شباط سقط ببغداد ثلج ، وبرد الماء برداً شديداً ، وقوي البرد حتى مات به جماعة من الفقراء .

وفيها في ربيع الأول ، زادت دجلة زيادة عظيمة، واشتغل الناس بإصلاح سكر القورج ، وخافوا ، فبلغت الزيادة قريبا من الزيادة الأولى ، ثم نقص الماء، واستبشر الناس .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وستمائة

ذكر ملك جلال الدين تفليس

في هذه السنة ثامن ربيع الأول فتح جلال الدين بن خوارزمشاه مدينة تفليس من الكرج ، وسببُ ذلك –انا قد ذكرنا سنة اثنتين وعشرين وستمائة – الحرب بينه وبينهم ، وانهزامهم منه ، وعوده إلى تبريز، بسبب الخلف الواقع فيها، فلما استقر الأمر في أذربيجان عاد إلى بلد الكرج في ذي الحجة من السنة، وخرجت سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، ودخلت هذه السنة – فقصد بلادهم ، وقد عادوا وحشدوا وجمعوا من الأمم المجاورة لهم اللان ، واللكز، وقفجاق ، وغيرهم ، فاجتمعوا في جمع كثير لا يحصى ، فطمعوا بذلك ، ومنتهم أنفسهم الأباطيل ، ووعدهم الشيطان الظفر { وما يعدهم الشيطان إلا غروراً }(ا) فلقيهم وجعل لهم الكمين في عدَّة مواضع ، والتقوا واقتتلوا، فولى الكرج منهزمين ، لا يلوي الأخ على أخيه ، ولا الوالد على ولده ، وكل منهم قد أهمَّته نفسه ، وأخذتهم سيوف المسلمين من كل جانب ، فلم ينج منهم الا اليسير الشاذ الذي لا يعبأ به ، وأمر جلال الدين عسكره أن لا يبقوا على أحد ، وان يقتلوا من وجدوا، فتبعوا المنهزمين يقتلونهم ، وأشار عليه اصحابه بقصد تفليس دار ملكهم ،فقال :لا حاجة لنا إلى ان نقتل رجالنا تحت الأسوار، إنما اذا افنيت الكرج أخذت البلاد صفوا عفواً، ولم تزل العساكر تتبعهم ، وتستقصي في طلبهم إلى ان كادوا يفنونهم ، فحينئذ قصد تفليس ، ونزل بالقرب منها، وسار في بعض الأيام في طائفة من العسكر، وقصدها لينظر اليها ،ويبصر مواضع النزول عليها، وكيف يقاتلها، فلما قاربها كمن اكثر

العسكر الذي معه في عدَّة مواضع ، ثم تقدم اليها في نحو ثلاثة آلاف فارس ، فلما رآه من بها من الكرج طمعوا فيه لقلة من معه ، ولم يعلموا ما معهم ، فظهروا إليه ، فقاتلوه

فتأخر عنهم ، فقوي طمعهم ، فظنوه منهزما فتبعوه ، فلما توسطوا العساكر خرجوا عليهم ، ووضعوا السيف فيهم ، فقتل اكثرهم وانهزم الباقون إلى المدينة ، فدخلوها وتبعهم المسلمون ، فلما وصلوا اليها نادى المسلمون من أهلها بشعار الاسلام ، وباسم جلال الدين ، فألقى الكرج بأيديهم واستسلموا لأنهم كانوا قد قتل رجالهم في الوقعات المذكورة فقلَ عددهم ، وملئت قلوبهم خوفا ورعبا، فملك المسلمون البلد عنوة وقهراً بغير أمان ، وقتل كل من فيه من الكرج ، ولم يبق على كبير ولا صغير إلا من اذعن بالإسلام ،وأقر بكلمتي الشهادة ، فإنهم أبقى عليهم ، وأمرهم فتختنوا وتركهم ، ونهب المسلمون الأموال ، وسبوا النساء واسترقوا الأولاد ، ووصل إلى المسلمين الذين بها بعض الأذى من قتل ونهب وغيره .

وهذه تفليس من أحصن البلاد وأمنعها، وهي س جانبي نهر الكرج ، وهو نهر كبير، ولقد جل هذا الفتح وعظم موقعه في بلاد الاسلام ، وعند المسلمين ، فإن الكرج كانوا قد استطالوا عليهم ، وفعلوا بهم ما ارادوا ، فكانوا يقصدون أي بلاد أذربيجان ارادوا ، فلا يمنعهم عنها مانع ، ولا يدفعهم عنها دافع ، وهكذا أرزن الروم ، حتى إن صاحبها لبس خلعة ملك الكرج ، ورفع على رأسه علماً منه في اعلاه صليب ، وتنصر ولده رغبة في نكاح ملكة الكرج ، وخوفاً منهم ليدفع الشر عنه ، وقد تقدمت القصة، وهكذا دربند شروان ، وعظم أمرهم إلى حد ان ركن الدين بن قلج ارسلان صاحب قونية، واقصرا، وملطية، وسائر بلاد الروم التي للمسلمين جمع عساكره

وحشد معها غيرها فاستكثر، وقصد أرزن الروم ، وهي لأخيه طغرل شاه ج ت قلج ارسلان ، فأتاه الكرج وهزموه ، وفعلوا به وبعسكره كل عظيم ، وكان أهل دربند شروان معهم في الضنك والشدة ، وأمَّا ارمينية فإن الكرج دخلوا مدينة أرجيش ، وملكوا قرش وغيرها ، وحصروا خلاط ،فلولا أن الله سبحانه منَ على المسلمين بأسر ايواني مقدَم عساكر الكرج لملكوها، فاضطر أهلها إلى ان بنوا لهم بيعة في القلعة، يضرب فيها الناقوس ، فرحلوا عنهم ، وقد تقدم تفصيل هذه الجملة، ولم يزل هذا الثغر من اعظم الثغور ضرراً، على المجاورين من الفرس قبل الإِسلام ، وعلى المسلمين بعدهم من أول الإسلام إلى الآن ولم يقدم أحد عليهم هذا الإقدام ، ولا فعل بهم هذه الأفاعيل ، فإن الكرج ملكوا تفليس سنة خمس عشرة وخمسمائة، والسلطان حينئذ محمود بن محمد ابن ملكشاه السلجوقي ، وهو من اعظم السلاطين منزلة، وأوسعهم مملكة، وأكثرهم

عساكر، فلم يقدر على منعهم عنها هذا مع سعة بلاده ، فإنه كان له الري وأعمالها ، وبلد الجبل ، واصفهان ، وفارس ، وخوزستان ، والعراق وأذربيجان ، وأران ، وأرمينية ، وديار بكر والجزيرة ، والموصل ، والشام وغير ذلك وعمه السلطان سنجر له خراسان ، وما وراء النهر، فكان اكثر بلاد الاسلام بأيديهم ، ومع هذا فإنه جمع عساكره سنة تسع عشرة وخمسمائة ، وسار إليهم بعد ان ملكوها ، فلم يقدر عليهم ، ثم ملك بعده أخوه السلطان مسعود، فكذلك ، وملك الدكز بلد الجبل والري وأذربيجان وأران ، وأطاعه صاحب خلاط ، وصاحب فارس ، وصاحب خوزستان ، وجمع وحشد لهم ، وكان قصاراه ان يتخلص منهم ، ثم ابنه البهلوان بعده ، وكانت البلاد في أيام أولئك كثيرة الأموال والرجال ، فلم يحدثوا انفسهم بالظفر بهؤلاء حتى جاء هذا السلطان ، والبلاد خراب قد اضعفها الكرج أولا،ثم استأصلتها التتر– لعنهم الله – على ما ذكرنا – ففعل بهم هذه الأفاعيل ، فسبحان من إذا أراد أمرا قال له كن فيكون .

ذكر مسير مظفر الدين صاحب اربل إلى الموصل وعوده عنها

في هذه السنة في جمادى الآخرة ، سار مظفر الدين بن زين الدين ، صاحب اربل إلى اعمال الموصل قاصداً اليها، وكان السبب في ذلك انه استقرَّت القاعدة بينه وبين جلال الدين بن خوارزمشاه ، وبين الملك المعظم صاحب دمشق ، وبين صاحب آمد، وبين ناصر الدين صاحب ماردين ، ليقصدوا البلاد التي بيد الأشرف ، ويتغلبوا عليها، ويكون لكل منهم نصيب ذكره ، واستقرت القواعد بينهم على ذلك ، فبادر

مظفر الدين إلى الموصل ، وأمَّا جلال الدين –، فإنه سار من تفليس يريد خلاط ، فأتاه الخبر أن نائبه ببلاد كرمان ، واسمه بلاق حاجب قد عصى عليه – على ما نذكره – فلما أتاه الخبر بذلك ترك خلاط ولم يقصدها إلا أن عسكره نهب بعض بلدها ، وخربوا كثيراً منه ، وسار مجداً إلى كرمان ، فانفسخ جميع ما كانوا عزموا عليه إلا أن مظفر الدين سار من إربل ، ونزل على جانب الزاب ، ولم يمكنه العبور إلى بلد الموصل ، وكان بدر الدين قد أرسل من الموصل إلى الأشرف ، وهو بالرقة يستنجده ، ويطلب منه أن يحضر بنفسه الموصل ليدفعوا مظفر الدين ، فسار منها إلى حرّان ، ومن حرَّان إلى دنيسر فخرب بلد ماردين ، وأهلكه تخريباً ونهباً، وأمَّا المعظم صاحب دمشق ، فإنه قصد بلد حمص وحماة ، وأرسلت إلى مظفر الدين ليرجع عن بلد الموصل ، فرحل الأشرف هن

ماردين ، وعاد كل منهم إلى بلده ، وخربت أعمال الموصل ، وأعمال ماردين بهذه الحركة ، فإنها كانت قد أجحف بها تتابع الغلاء ، وطول مدته ، وجلاء أكثر أهلها ،فأتتها هذه الحادثة ، فازدادت خراباً .

ذكر عصيان كرمان على جلال الدين ومسيره اليها

في هذه السنة في جمادى الآخرة، وصل الخبر إلى جلال الدين ان نائبه بكرمان ،وهو أمير كبير اسمه بلاق حاجب ، قد عصى عليه ، وطمع في البلد ان يتملكها، ويستبد بها لبعد جلال الدين عنها واشتغاله – بما ذكرناه – من الكرج وغيرهم ، وانه ارسل إلى التتر يعرفهم قوة جلال الدين ، وملكه كثيراً من البلاد، وان اخذ الباقي عظمت مملكته ، وكثرت عساكره ، وسار إليكم وأخذ كما بأيديكم من البلاد، فلما سمع جلال الدين ذلك ، وكان قد سار يريد خلاط ، فتركها وسار إلى كرمان يطوي المراحل أرسل بين يديه رسولاً إلى صاحب كرمان ، ومعه الخلع ليطمئن ويأتيه ، وهو غير محتاط ، ولا مستعد للامتناع منه ، فلما وصل الرسول علم ان ذلك مكيدة عليه لما يعرفه من عادته ، فأخذ ما يعز عليه ، وصد إلى قلعة منيعة، فتحصن بها، وجعل من يثق إليه من اصحابه في الحصون يمتنعون بها، وأرسل إلى جلال الدين يقول : إنني أنا العبد والمملوك ، ولما سمعت بمسيرك إلى هذه البلاد اخليتها لك لأنها بلادك ، ولو علمت انك تبقى علي لحضرت بابك ، ولكي اخاف ، وهذا جميعه والرسول يحلف له ان جلال الدين بتفليس ، وهولا يلتفت إلى قوله ، فعاد الرسول ، فعلم جلال الدين انه لا يمكنه أخذ ما بيده من الحصون لأنه يحتاج ان

يحصرها مدة طويلة، فوقف بالقرب من اصفهان ، وارسل إليه الخلع وأقره على ولايته ، فبينما الرسل تتردَد اذ وصل رسول من وزير جلال الدين إليه من تفليس يعرفه ان عسكر الملك الأشرف الذي بخلاط قد هزموا بعض عسكره ، وأوقعوا بهم ، ويحثه على العود إلى تفليس ، فعاد اليها مسرعا .

ذكر الحرب بين عسكر الأشرف وعسكر جلال الدين

لما سيار جلال الدين إلى كرمان ترك بمدينة تفليس عسكرا مع وزيره شرف الملك ،فقلت عليهم الميرة، فساروا إلى اعمال اِرزن الروم ، فوصلوا اليها ونهبوها وسبوا النساء ، وأخذوا من الغنائم شيئا كثيرا لا يحصى وعادوا ، فكان طريقهم على اطراف ولاية خلاط ، فسمع النائب من الأشرف بخلاط ، وهو الحاجب حسام الدين على الموصل ،

فجمع العسكر، وسار اليهم ، فأوقع بهم ، واستنقذ ما معهم من الغنائم ، وغنم كثيرا متا معهم ، وعاد هو وعساكره سالمين ، فلما فعل ذلك خاف وزير جلال الدين منهم ، فأرسل إلى صاحبه بكرمان يعرفه الحال ، ويحثه على الوصول إليه ، ويخوفه عاقبة التواني والاهمال ، فرجع فكان ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر وفاة الخليفة الظاهر بأمر الله

في هذه السنة في الرابع عشر من رجب توفّي الامام الظاهر بأمر الله ، أمير المؤمنين ، أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله ، أبي العباس احمد بن المستضيء بأمر الله ،وقد تقدم نسبه عند وفاة أبيه رضي الله عنهما،فكانت خلافته تسعة أشهر وأربعة عشر يوما، وكان نعم الخليفة جمع الخشوع مع الخضوع لربه ، والعدل والاحسان إلى رعيته ، وقد تقدم عند. ذكر ولايته الخلافة من افعاله ما فيه كفاية، ولم يزل كل يوم يزداد من الخير والاحسان إلى الرعية ، فرضي الله عنه وأرضاه ، واحسن متقلبه ومثواه ، فلقد جدد من العدل ما كان دارسا ، وأذكر من الاحسان ما كان منسيا ، وكان قبل وفاته اخرج توقيعا إلى الوزير بخطه على أرباب الدولة وقال الرسول : (أمير المؤمنين يقول : ليس غرضنا ان يقال : برز مرسوم أو نفذ مثال ، ثم لا يبين له أثر بل انتم إلى امام فعال احوج منكم إلى امام قوال) فقرؤه ، فإذا أوله بعد البسلمة { اعلموا أنه ليس إمهالنا إهمالا ،ولا اغضاؤنا إغفالا ، ولكن لنبلوكم أيكم احسن عملاً، وقد عفونا لكم ما سلف ، من اخراب البلاد، وتشريد الرعايا ، وتقبيح الشريعة ، وإظهار

الباطل الجلي في صورة الحق الخفي حيلة ومكيدة ، وتسمية الاستئصال والاحتياج استيفاء ، واستدراكا لأغراض ، انتهزتم فرصها مختلسة من براثن ليث باسل ، وأنياب أسد مهين ، تتفقون بألفاظ مختلفة على معنى ،وأنت أمناؤه وثقاته ، فتميلون رأيه إلى هواكم ، وتمزجون باطلكم بحقه ، فيطيعكم وأنتم له عاصون ، ويوافقكم وانتم له مخالفون ، والآن قد بدل الله سبحانه بخوفكم امنا ، وبفقركم غنى ، وبباطلكم حقا ، ورزقكم سلطانا يقيل العثرة ،ولا يؤاخذ إلا من اصر ، ولا ينتقم الا ممن استمر، يأمركم بالعدل ، وهو يريده منكم ، وينهاكم عن الجور وهو يكرهه لكم يخاف الله تعالى فيخوفكم مكره ، ويرجو الله تعالى ويرغبكم في طاعته ، فإن سلكتم مسالك نواب خلفاء الله في ارضه وأمنائه على خلقه ، وإلا هلكتم والسلام }، ولما توفي وجدوا في بيت في داره الوف رقاع كلها مختومة لم

يفتحها، فقيل له : ليفتحها . فقال :لا حاجة لنا فيها كلها سعايات ، ولم أزل –علم الله سبحانه مذ ولي الخلافة – أخافُ عليه قصر المدة لخبث الزمان ، وفساد أهله ، وأقول : لكثير من اصدقائنا، وما اخوفني ان تقصر مدة خلافته لان زماننا وأهله لا يستحقون خلافته ، فكان كذلك.

ذكر خلافة ابنه المستنصر بالله

لما توفّي الظاهر بأمر الله بويع بالخلافة ابنه الأكبر أبو جعفر المنصور، ولقب المستنصر بالله ، وسلك في الخير والِإحسان إلى الناس سيرة أبيه رضي الله عنه ، وأمر فنودي ببغداد بإفاضة العدل ، وان من كان له حاجة أو مظلمة يطالع بها تقضى حاجته ، وتكشف مظلمته ، فلما كان أول جمعة أتت على خلافته اراد ان يصلي الجمعة في المقصورة التي كان يصلي فيها الخلفاء، فقيل له ان المطبق الذي يسلك فيه اليها خراب لا يمكن سلوكه ، فركب فرسا وسار إلى الجامع جامع القصر ظاهرا ، يراه الناس بقميص أبيض وعمامة بيضاء بسكاكين حرير، ولم يترك احداً يمشي معه من اصحابه بالصلاة إلى الموضع الذي كان يصلّي فيه ، وسار هو ومعه خادمان ، وركابدار لا غير، فصلى وعاد، وكذلك الجمعة الثانية حتى اصلح له المطبق ، وكان السعر قد تحرك بعد وفاة الظاهر بأمر الله رضي الله عنه ، فبلغت الكارة ثمانية عشر قيراطا، فأمر أن تباع الغلات التي له كل كارة بثلاثة عشر قيراطا، فرخصت الأسعار، واستقامت الأمور.

ذكر الحرب بين كيقباذ وصاحب آمد

في هذه السنة في شعبان سار علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج ارسلان ملك بلاد الروم إلى بلاد الملك المسعود صاحب آمد، وملك عدّة من حصونه ، وسبب ذلك ما ذكرناه ، من اتفاق صاحب آمد مع جلال الدين خوارزمشاه ، والملك المعظم صاحب دمشق ، وغيرهما على خلاف الأشرف ، فلما رأى الأشرف ذلك أرسل إلى كيقباذ ملك الروم ، وكانا متفقين يطلب منه أن يقصد بلد صاحب آمد، ويحاربه ، وكان الأشرف حينئذ على ماردين ، فسار ملك الروم إلى ملطيّة – وهي له – فنزل عندها، وسيَّر العساكر إلى ولاية صاحب آمد، ففتحوا حصن منصور وحصن شمكازاد وغيرها، فلما رأى صاحب آمد ذلك راسل الأشرف ، وعاد إلى موافقته ، فأرسل الأشرف إلى كيقباذ يعرفه ،

ذلك ويقول له ليعيد إلى صاحب آمد ما أخذ منه ، فلم يفعل ، وقال : لم اكن نائباً للأشرف يأمرني وينهاني ، فاتفق ان الأشرف سار إلى دمشق ليصلح أخاه الملك المعظم ، وأمر العساكر التي له بديار الجزيرة بمساعدة صاحب آمد ان اصر ملك الروم على قصده ، فسارت عساكر الأشرف إلى صاحب آمد، وقد جمع عسكره ومن بلاده ممن يصلح للحرب ، وسار إلى عسكر ملك الروم ، وهم يحاصرون قلعة الكختا، فالتقوا هناك في شوال ، فانهزم صاحب آمد ومن معه من العسكر هزيمة عظيمة، وجرح كثير ، وأسر ، وملك عسكر كيقباذ قلعةِ الكختا بعد الهزيمة وير من أمنع الحصون والمعاقل فلما ملكوه عادوا إلى صاحبهم .

ذكر حصر جلال الدين مدينتي آني وقرس

في هذه السنة في رمضان ، عاد جلال الدين من كرمان كما ذكرناه إلى تفليس ،وسار منها إلى مدينة آني ، وهي للكرج ، وبها إيوائي مقدم عساكر الكرج ، فيمن بقي معه من اعيان الكرج ، فحصره وسيَّر طائفة من العسكر إلى مدينة قرس ، وهي للكرج أيضاً ، وكلاهما من احصن البلاد وامنعها، فنازلهما وحضرهما، وقاتل من بهما ونصب عليهما المجانيق ، وجدَّ في القتال عليهما ، وحفظهما تلكرج وبالغوا في الحفظ والاحتياط لخوفهم منه ان يفعل بهم ما فعل بأشياعهم من قبل بمدينة تفليس ، وأقام عليهما إلى ان مض بعض شوال ، ثم ترك العسكر عليهما يحصرونهما، وعاد إلى تفليس ، وسار من تفليس مجداً إلى بلاد ابخاز وبقايا الكرج، فأوقع بمن فيها،

فنهب وقتل وسبى وخرب البلاد واحرقها، وغنم عساكره ما فيها، وعاد منيا إلى تفليس .

ذكر حصر جلال الدين خلاط

قد ذكرنا ان جلال الدين عاد من مدينة اني إلى تفليس ، ودخل بلاد ابخاز، وكان رحيله مكيدة لأنه بلغه ان النائب عن الملك الأشرف ، وهو الحاجب حسام الدين على مدينة خلاط قد احتاط ، واهتم بالأمر، وحفظ البلاد لقربه منه ، فعاد إلى تفليس ليطمئن أهل خلاط ، وتركوا الاحتياط والاستظهار، ثم يقصدهم بغتة ، فكانت غيبته ببلاد ابخاز عشرة ايام ، وعاد وسار مجدّا على عادته ، فلم يكن عنده من يراسل نواب الأشرف بالأخبار لفجأهم على غفلة منهم ، وإنما كان عنده بعض ثقاته يعرفهم أخباره ، وكتب

اليهم يحذرهم ، فوصل الخبر اليهم قبل وصوله بيومين ، ووصل جلال الدين ، فنازل مدينة ملازكرد يوم السبت ثالث عشر ذي القعدة، ثم رحل عنها، فنازل مدينة خلاط يوم الاثنين خامس عشر ، فلم ينزل حتى زحف اليها، وقاتل أهلها قتالاً شديداً، فوصل عسكره سور البلد، وقتل بينهم قتلى كثيرة، ثم زحف اليها مرة ثانية، وقاتل أهل البلد قتالاً عظيماً، فعظمت نكاية العسكر في أهل خلاط ، ووصلوا إلى سور البلد، ودخلوا الربض الذي له ، ومدوا أيديهم في النهب وسبي الحريم ، فلما رأى أهل خلاط ذلك تذامروا ، وحرض بعضهم بعضا فعادوا إلى العسكر، فقاتلوهم وأخرجوهم من البلد، وقتل بينهم خلقٌ كثير، وأسر العسكر الخوارزمي من أمراء خلاط جماعة، وقتل معهمَ كثير وترجل الحاجب علي ووقف في نحر العدو وأبلى بلاء عظيماً، ثم إن جلال الدين استراح عدة أيام ، وعاود الزحف مثل أول يوم ، فقاتلوه حتى ابعدوا عسكره عن البلد، وكان أهل خلاط مجدين في القتال حريصين على المنع عن انفسهم لما رأوا من سوء سيرة الخوارزميين ونهبهم البلاد، وما فيهم من الفساد، فهم يقاتلون قتال من يمنع عن نفسه وحريمه وماله ، ثم أقام عليها إلى أن اشتد البرد، ونزل شيء من الثلج ، فرحل عنها يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي الحجة من السنة، وكان سبب رحيله مع خوف الثلج ما بلغه عن التركمان الإيوائية من الفساد ببلاده .

ذكر ايقاع جلال الدين بالتركمان الايوائية

كان التركمان الايوائية قد تغلبوا على مدينة أشتر وأرمية من نواحي اذربيجان ، وأخذوا الخراج من أهل خوي ليكفوا

عنهم ، واغتروا باشتغال جلال الدين بالكرج ، وبعدهم بخلاط ،وازداد طمعهم وانبسطوا بأذربيجان ينهبون ويقطعون الطريق ، والأخبار تأتي إلى خوارزمشاه جلال الدين ، وهو يتغافل عنهم لاشتغاله بما هو أهم عنده ، وبلغ من طمعهم انهم قطعوا الطريق بالقرب من تبريز، واخذوا من تجار أهلها شيئاً كثيراً ، ومن جملة ذلك أنهم اشتروا غنماً من ارزن الروم ، وقصدوا بها تبريز، فلقيهم الايوائية قبل وصولهم إلى تبريز، فأخذوا جميع ما معهم ، ومن جملته عشرون الف رأس غنم ، فلما اشتد ذلك على الناس ، وعظم الشر أرسلت زوجة جلال الدين ابنة السلطان طغرل ونوابه في البلاد إليه يسغيثون ، ويعرفونه أن البلاد قد خرَّبها الإيوائية، ولئن لم يلحقها وإلا هلكت بالمرة،فاتفق هذا إلى خوف الثلج ، فرحل عن خلاط وجد السير الى

الايوائية، وهم آمنون مطمئنون لعلمهم ان خوارزمشاه على خلّاط ، وظنوا انه لا يفارقها ، فلولا هذا الاعتقاد لصعدوا إلى جبال لهم منيعة شاهقة لا يرتقى اليها إلا بمشقة وعناء ، فإنهم كانوا إذا خافوا صعدوا اليها ، وامتنعوا بها ، فلم يرعهم إلا والعساكر الجلالية قد أحاطت بهم ،وأخذهم السيف من كل جانب ، فأكثروا القتل فيهم والنهب والسبي ، واسترقوا الحريم والأولاد واخذوا من عندهم ما لا يدخل تحت الحصر، فرأوا كثيرا من الأمتعة التي أخذوها من التجار بحالها في الشذوات لم تحل هذا سوى ما كانوا قد حلوه ، وفصلوا، فلما فرغ عاد إلى تبريز.

ذكر الصلح بين المعظم والأشرف

نبتدىء بذكر سبب الاختلاف ، فنقول لما توفي الملك العادل أبو بكر بن أيوب ، اتفق أولاده الملوك بعده إتفاقاً حسناً ، وهم الملك الكامل محمد صاحب مصر ، والملك المعظم عيسى صاحب دمشق ، والبيت المقدس وما يجاورها من البلاد ، والملك الأشرف موسى ، وهو صاحب ديار الجزيرة وخلاط ، واجتمعت كلمتهم على دفع الفرنج عن الديار المصرية ، ولما رحل الكامل عن دمياط لما كان الفرنج يحصرونها صادفه أخوه المعظم من الغدّ ، وقويت نفسه وثبَّت قدمه ، ولولا ذلك لكان الأمر عظيماً ، وقد ذكرنا ذلك مفصلاً ، ثم إنه عاد من مصر ، وسار إلى أخيه ببلاد الجزيرة مرتين يستنجده على الفرنج ، ويحثه على مساعدة أخيه الكامل ، ولم يزل به حتى أخذه ، وسار إلى مصر ، وأزالوا الفرنج عن الديار المصرية – كما ذكرناه قبل – فكان اتفاقهم سبباً

لحفظ بلاد الإسلام ، وسرَّ الناس أجمعون بذلك ، قلما فارق الفرنج مصر ، وعاد كل من الملوك أولاد العادل إلى بلده بقوا كذلك يسيراً ، ثم سار الأشرف إلى أخيه الكامل بمصر ، فاجتاز بأخيه المعظم بدمشق ، فلم يستصحبه معه ، وأطال المقام بمصر ، فلا شك أن المعظم سار إلى مدينة حماة وحصرها ، فأرسل إليه أخواه من مصر ورحلاه عنها كارهاً ، فازداد نفوراً ، وقيل إنه نقل إليه عنهما أنهما اتفقا عليه – والله أعلم بذلك –ثم انضاف إلى ذلك أن الخليفة الناصر لدين الله –رضي اللّه عنه –كان قد استوحش من الكامل لما فعله ولده صاحب اليمن بمكة من الاستهانة بأمير الحاج العراقي ، فأعرض عنه وعن أخيه الأشرف لاتفاقهما ، وقاطعهما ، وراسل مظفر الدين كوكبري بن زين الدين على صاحب إربل لعلمه بانحرافه عن الأشرف واستماله ، واتفقا

على مراسلة المعظم ، وتعظيم الأمر عليه ، فمال إليهما ، وانحرف عن أخويه ، ثم اتّفق ظهور جلال الدين ، وكثرة ملكه ، فاشتد الأمر على الأشرف بمجاورة جلال الدين خوارزمشاه ولاية خلاط ، ولان المعظم بدمشق ، يمنع عنه عساكر مصر ان تصل إليه ، وكذلك عساكر حلب وغيرها من الشام ، فرأى الأشرف ان يسير إلى أخيه المعظم بدمشق ، فسار إليه في شوال واستماله وأصلحه ، فلما سمع الكامل بذلك عظم عليه وظنَّ أن اتفاقهما عليه ، ثم إنهما راسلاه وأعلماه بنزول جلال الدين على خلاط ، وعظَما الأمر عليه ، وأعلماه أن هذه الحال تقتضي الاتفاق لعمارة البيت العادلي ، وانقضت السنة والأشرف بدمشق ، والناس على موضعهم ينتظرون خروج الشتاء ، ما يكون من الخوارزميين وسنذكر ما يكون سنة أربع وعشرين وستمائة إن شاء الله تعالى .

ذكر الفتنة بين الفرنج والأرمن

في هذه السنة جمع البرنس الفرنجي صاحب انطاكية جموعا كثيرة، وقصد الارمن الذين في الدروب من بلاد ابن ليون ، فكان بينهم حربٌ شديدة وسبب ذلك ان ابن ليون الأرمني ، صاحب الدروب ، توفي قبل ولم يخلف ولدا ذكرا إنما خلف بنتا فملَّكها الأرمن عليهم ، ثم علموا ان الملك لا يقوم بامرأة، فزوجوها من ولد البرنس ، فتزوجها وانتقل إلى بلدهم ، واستقر في الملك نحو سنة ، ثم ندموا على ذلك ، وخافوا ان يستولي الفرنج على بلادهم ، فثاروا بابن البرنس فقبضوا عليه وسجنوه ، فأرسل أبوه يطلب أن يطلق ويعاد في الملك ، فلم يفعلوا ، فأرسل إلى بابا ملك الفرنج برومية

الكبرى يستأذنه في قصد بلادهم ، وهذا ملك رومية أمره عند الفرنج لا يخالف ، فمنعه عنهم . وقال : إنهم أهل ملتنا ولا يجوز قصد بلادهم ، فخالفه وأرسل إلى علاء الدين كيقباذ ملك قونية وملطية وما بينهما من بلاد المسلمين ، وصالحه ووافقه على قصد بلاد ابن ليون ، والاتفاق على قصدها، فاتفقا على ذلك ، وجمع البرنس عساكره ليسير إلى بلاد الارمن ، فخالف عليه الداوية والاسبتار وهما جمرة الفرنج ، فقالوا : إن ملك رومية نهانا عن ذلك إلا انه اطاعه غيرهم ، فدخل اطراف بلاد الأرمن وهي مضايق وجبال وعرة، فلم يتمكن من فعل ما يريد، وأمَّا كيقباذ، فإنه قصد بلاد الارمن من جهته ، وهي اسهل مدخلا من جهة الشام ، فدخلها سنة اثنتين وعشرين وستمائة، فنهبها وأحرقها وحصر عدَّة حصون ، ففتح اربعة حصون ، وأدركه الشتاء، فعاد عنها، فلما سمع بابا ملك

الفرنج برومية أرسل إلى الفرنج بالشام يعلمهم أنه قد حرم البرنس ، فكان الداوية والاسبتارية وكثير من الفرنج لا يحضرون معه ولا يسمعون قوله وكان أهل بلاده ، وهي انطاكية وطرابلس اذا جاءهم عيد يخرج من عندهم ، فإذا فرغوا من عيدهم دخل البلد، ثم إنه ارسل إلى ملك رومية يشكو من الأرمن ، وانهم لم يطلقوا ولده ، فأرسل إلى الارمن يأمرهم بإطلاق ابنه واعادته إلى الملك ، فإن فعلوا وإلا فقد أذن له في قصد بلادهم ، فلما بلغتهم الرسالة لم يطلقوا ولده ، فجمع البرنس ، وقصد بلاد الأرمن ، فأرسل الارمن إلى الاتابك شهاب الدين بحلب ، يستنجدونه ويخوفونه من البرنس ان استولى على بلادهم لأنها تجاور اعمال حلب ، فأمدهم بجند وسلاح ، فلما سمع البرنس ذلك ، صمم العزم على قصد بلادهم ، فسار اليهم وحاربهم فلم يحصل على غرض ، فعاد عنهم .

حدثني بهذا رجل من عقلاء النصارى ممن دخل تلك البلاد، وعرف حالها وسألت غيره فعرف البعض ، وأنكر البعض .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة انخسف القمر مرتين أولاهما ليلة رابع عشر صفر.

وفيها كانت أعجوبة بالقرب من الموصل حامة تعرف بعين القيارة شديدة الحرارة تسميها الناس عين ميمون ، ويخرج مع الماء قليل من القار، فكان الناس يسبحون فيها دائما في الربيع والخريف ، لأنها تنفع من الأمراض الباردة كالفالج وغيره نفعا عظيما، فكان من يسبح فيها يجد الكرب

الشديد من حرارة الماء، ففي هذه السنة يرد الماء فيها حتى كان السابح فيها يجد البرد، فتركوها وانتقلوا إلى غيرها .

وفيها كثرت الذئاب والخنازير والحيات ، فقتل كثير، فلقد بلغني ان ذئبا دخل الموصل فقتل فيها .

وحدثني صديق لنا له بستان بظاهر الموصل أنه قتل فيه في سنة اثنتين وعشرين وستمائة جميع الصيف حيثين ، وقتل هذه السنة إلى أول حزيران سبع حيات لكثرتها، وفيها انقطع المطر بالموصل ، واكثر البلاد الجزرية من خامس شباط إلى ثاني عشر نيسان ، ولم يجر شيء يعتد به لكنه سقط اليسير منه في بعض القرى، فجاءت الغلات

قليلة ثم خرج الجراد الكثير، فازدادت الناس اذى، وكانت الأسعار قد صلحت شيئاً، فعادت لكثرة الجراد غلت ونزل أيضاً في كثير من القرى برد كبير اهلك زروع أهلها وأفسدها ، واختلفت أقاويل الناس في أكبره ، كان وزن بردة مائتي درهم ، وقيل : رطل ، وقيل : غير ذلك ، إلا انه اهلك كثيرا من الحيوان ، وانقضت هذه السنة والغلاء باق واشتد بالموصل .

وفيها اصطاد صديق لنا أرنبا فرآه وله انثيان وذكر وفرج انثى ، فلما شقوا بطنها رأوا فيها حريفين ، سمعت هذا منه ومن جماعة كانوا معه ، وقالوا ما زلنا نسمع ان الأرنب يكون سنة ذكرا وسنة أنثى، ولا نصدق بذلك ، فلما رأينا هذا علمنا أنه قد حمل وهو أنثى ، وانقضت السنة فصار ذكرا ، فإن كان كذلك فيكون في الأرانب كالخنثى من بني آدم يكون لأحدهم فرج الرجل وفرج الأنثى . فإني كنت بالجزيرة ولنا جار له بنت اسمها صفية ، فبقيت كذلك نحو خمس عشرة سنة ، إذ قد طلع لها ذكر رجل ، ونبتت لحيتها، فكان لها فرج امرأة وذكر رجل .

وفيها ذبح إنسان عندنا رأس غنم ، فوجد لحمه مرًّا شديد المرارة حتى رأسه واكارعه ومعلاقه وجميع أجزائه ، وهذا ما لم يسمع بمثله .

وفيها في يوم الأربعاء الخامس والعشرين من ذي القعدة ضحوة النهار زلزلت الأرض بالموصل وكثير من البلاد العربية والعجمية ، وكان أكثرها بشهروزر، فإنها خرب أكثرها لا سيما القلعة، فإنها اجحفت بها وخرب من تلك الناحية ست قلاع ،

وبقيت الزلزلة تتردد فيها نيفا وثلاثين يوما، ثم كشفها الله عنهم ، وأمَّا القرى بتلك الناحية فخرب أكثرها .

وفيها في رجب توفي القاضي حجة الدين أبو منصور المظفر بن عبد القاهر بن الحسن بن علي بن القاسم الشهرزوري قاضي الموصل بها وكان قد اضر قبل وفاته بنحو سنتين ، وكان عالما بالقضاء عفيفا نزها ذا رياسة كبيرة، وله صلات دارة للمقيم والوارد رحمه الله ، فلقد كان من محاسن الدنيا، ولم يخلف غير بنت توفيت بعده بثلاثة اشهر .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وستمائة

ذكر دخول الكرج مدينة تفليس وإحراقها

في هذه السنة في ربيع الأول وصل الكرج مدينة تفليس ، ولم يكن بها من العسكر الاسلامي من يقوم بحمايتها ، وسبب ذلك ان جلال الدين لمَّا عاد من خلاط –كما ذكرنا قبل – وأوقع بالايوائية فرق عساكره إلى المواضع الحارة الكثيرة المرعى ليشتوا بها ، وكان عسكره قد أساؤوا السيرة في رعية تفليس ، وهم مسلمون وعسفوهم ، فكاتبوا الكرج يستدعونهم اليهم ليملكوهم البلد، فاغتنم الكرج ذلك لميل أهل البلد إليهم ،وخلوه من العسكر، فاجتمعوا وكانوا بمدينتي قرس وآني وغيرهما من الحصون ، وساروا إلى تفليس ، وكانت خالية كما ذكرناه ، ولأن جلال الدين استضعف الكرج لكثرة من قتل منهم ، ولم يظن فيهم حركة، فملكوا البلد، ووضعوا السيف فيمن يقي من اهله ، وعلموا انهم لا يقدرون على حفظ البلد من جلال الدين ، فاحرقوها جميعها ، وأمَّا جلال الدين فإنه لمَّا بلغه الخبر سار فيمن عنده من العساكر ليدركهم ، فلم ير منهم احداً، كانوا قد فارقوا تفليس لمّا احرقوها .

ذكر نهب جلال الدين بلد الإسماعيلية

في هذه السنة قتل الإسماعيلية اميراً كبيراً من أمراء جلال الدين ، وكان قد أقطعه جلال الدين مدينة كنجة وأعمالها ، وكان نعم الأمير كثير الخير حسن السيرة ، ينكر على جلال الدين ما يفعله عسكره من النهب وغيره من الشر، فلما قتل ذلك الأمير عظم قتله على جلال الدين واشتد عليه ، فسار في عساكره إلى بلاد الإسماعيلية من حدود الموت إلى كردكوه

بخراسان ، فحارب الجميع ، وقتل أهلها ونهب الأموال ، وسبى الحريم ، واسترق الأولاد، وقتل الرجال ، وعمل بهم الأعمال العظيمة وانتقم منهم ،

وكانوا قد عظم شرهم وازداد ضررهم ، وطمعوا مذ خرج التتر إلى بلاد الاسلام إلى الآن ، فكف عاديتهم وقمعهم ، ولقاهم الله ما عملوا بالمسلمين .

ذكر الحرب بين جلال الدين والتتر

لما فرغ جلال الدين من الإسماعيلية بلغه الخبر ان طائفة من التتر عظيمة قد بلغوا إلى دامغان بالقرب من الري عازمين على بلاد الاسلام ، فسار اليهم وحاربهم ، واشتد القتال بينهم ، فانهزموا منه فأوسعهم قتلاً وتبع المنهزمين عدَّة ايام يقتل وياسر، فبينما هو كذلك قد أقام بنواحي الري خوفاً من جمع آخر للتتر إذ أتاه الخبر بان كثيراً منهم واصلون إليه ، فأقام ينتظرهم وسنذكر خبرهم سنة خمس وعشرين وستمائة .

ذكر دخول العسكر الأشرفية إلى اذربيجان وملك بعضها

في هذه السنة في شعبان سار الحاجب علي حسام الدين ، وهو النائب عن الملك الأشرف بخلاط ، والمقدم على عساكرها إلى بلاد أذربيجان فيمن عنده من العساكر، وسبب ذلك ان سيرة جلال الدين كانت جائرة وعساكره طامعة في الرعايا ، وكانت زوجته ابنة السلطان طغرل السلجوقي ، وهي التي كانت زوجة اوزبك بن البهلوان صاحب أذربيجان ، فتزوجها جلال الدين – كما ذكرناه قبل – وكانت مع اوزبك تحكم في البلاد جميعها ليس له ولا لغيره معها حكم ، فلما تزوجها جلال الدين أهملها، ولم يلتفت اليها فخافته مع حرمته من الحكم والأمر والنهي ، فأرسلت هي وأهل خوى إلى حسام الدين الحاجب يستدعونه ليسلموا البلاد له ، فسار

ودخل البلاد بلاد أذربيجان ، فملك مدينة خوى وما يجاورها من الحصون التي بيد امرأة جلال الدين ، وملك مرندو كاتبه أهل مدينة نقجوان ، فمض اليهم ، فسلموها إليه ، وقويت شوكتهم بتلك البلاد، ولو داموا لملكوها جميعها إنما عادوا إلى خلاط واستصحبوا معهم زْوجة جلال الدين ابنة السلطان طغرل إلى خلاط ، وسنذكر باقي خبرهم سنة خمس وعشرين إن شاء الله تعالى .

ذكر وفاة المعظم صاحب دمشق وملك ولده

في هذه السنة توفي الملك المعظم عيسى بن الملك العادل ابي بكر بن أيوب صاحب دمشق يوم الجمعة سلخ ذي القعدة ، وكان مرضه دوسنطاريا ، وكان ملكه لمدينة

دمشق من حين وفاة والده الملك العادل عشر سنين وخمسة اشهر وثلاثة وعشرين يوما، وكان عالما بعدة علوم فاضلا فيها، منها الفقه على مذهب أبي حنيفة، فإنه كان قد اشتغل به كثيرا ، وصار من المتميزين فيه ، ومنها علم النحو، فإنه اشتغل به أيضاً اشتغالاً زائدا وصار فيه فاضلا، وكذلك اللغة وغيرها ، وكان قد أمر أن يجمع له كتاب في اللغة جامع كبير فيه كتاب الصحاح للجوهري ، ويضاف إليه ما فات الصحاح من التهذيب للأزهري والجمهرة لابن دويد وغيرهما، وكذلك أيضاً أمر بأن يرتب مسند احمد بن حنبل على الأبواب ، ويرد كل حديث إلى الباب الذي يقتضيه معناه ، مثاله ان يجمع أحاديث الطهارة ، وكذلك يفعل في الصلاة ، وغيرها من الرقائق والتفسير والغزوات ، فيكون كتابا جامعا، وكان قد سمع المسند من بعض اصحاب ابن الحصين ، ونفق العلم في سوقه ، وقصده العلماء من الآفاق ، فأكرمهم وأجرى عليهم الجرايات الوافرة وقربهم ، وكان يجالسهم ويستفيد منهم ويفيدهم ، وكان يرجع إلى علم وصبر على سماع ما يكره لم يسمع أحد ممن يصحبه منه كلمة تسوءه وكان حسن الاعتقاد يقول كثيرا إن اعتقادي في الأصول ما سطره أبو جعفر الطحاوي ووصى عند موته بأن يكفن في البياض ، ولا يجعل في أكفانه ثوب فيه ذهب ، وأن يدفن في لحد، ولا يبنى عليه بناء بل يكون قبره في الصحراء تحت السماء، ويقول في مرضه : لي عند الله تعالى في أمر دمياط ما أرجو ان يرحمني به ، ولما توفَي ولي بعده ابنه داود، ويلقب الملك الناصر، وكان عمره قد قارب عشرين سنة .

في هذه السنة دام الغلاء في ديار الجزيرة، ودامت الأسعار تزيد قليلاً وتنقص قليلاً وانقطع المطر جميع شباط وعشرة ايام من اذار، فازداد الغلاء، فبلغت الحنطة كل مكوكين بالموصلي بدينار وقيراطين بالموصل ، والشعير كل ثلاثة مكاكيك بالموصلي بدينار وقيراطين أيضاً.، وكل شيء بهذه النسبة في الغلاء .

وفيها في الربيع قل لحم الغنم بالموصل ، وغلا سعره حتى بيع كل رطل لحم بالبغدادي بحبتين بالصنجة ، وربما زاد نجي بعض الأيام على هذا الثمن ، وحكى لي من يتولى بيع الغنم بالموصل انهم باعوا خروفا واحدا لا غير، وفي بعضها خمسة رؤوس وفي بعضها ستة ، وأقل وأكثر، وهذا ما لم يسمع بمثله ، ولا رأيناه في جميع أعمارنا،

ولا حُكِيَ لنا مثله لأن الربيع مظنة رخص اللحم لأن التركمان والأكراد والكيلكان ينتقلون من الأمكنة التي شتوا بها إلى الزوزان ، فيبيعون الغنم رخيصا ، وكان اللحم كل سنة في هذا الفصل يكون سعره كل ستة ارطال وسبعة بقيراط صار هذه السنة الرطل بحبتين.

وفيها عاشر آذار، وهو العشرون من ربيع الأول سقط الثلج مرتين ، وهذا غريب بدا لم يسمع بمثله ، فأهلك الأزهار التي خرجت كزهر اللوز والمشمش والاجاص والسفرجل وغيرها ، ووصلت الأخبار من العراق جميعه مثل ذلك ، فهلكت به أزهار الثمار أيضاً وهذا اعجب من حال ديار الجزيرة والشام ، فإنه أشد حراً من جميعها . وفيها ظفر جمعٌ من التركمان كانوا بأطراف اعمال حلب بفارس مشهور من الفرنج الداوية بانطاكية، فقتلوه فعلم الداوية بذلك ، فساروا وكبسوا التركمان ، فقتلوا منهم وأسروا وغنموا من أموالهم ، فبلغ إلى اتابك شهاب الدين المتولّي لأمور حلب ، فراسل الفرنج وتهددهم بقصد بلادهم ، واتفق ان عسكر حلب قتلوا فارسين كبيرين من الداوية أيضاً ؛ فأذعنوا بالصلح ، وردوا إلى التركمان كثيرا من اموالهم وحريمهم وأسراهم .

وفيها في رجب اجتمع طائفةٌ كثيرة من ديار بكر، وأرادوا الإِغارة على جزير ابن عمر، وكان صاحب الجزيرة قد قتل ، فلما قصدوا بلد الجزيرة اجتمع أهل قرية كبيرة من بلد الجزيرة، اسمها سلكون ولقوهم من ضحوة النهار إلى العصر، وطال القتال بينهم ، ثم حمل أهل القرية على الأكراد، فهزموهم ، وقتلوا فيهم ، ونهبوا ما معهم ، وعادوا سالمين .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وستمائة

ذكر الخلف بين جلال الدين وأخيه

في هذه السنة خاف غياث الدين بن خوارزمشاه ، وهو أخو جلال الدين من أبيه أخاه ، وخافه معه جماعة من الأمراء ، واستشعروا منه ، وأراد الخلاص منه ، فلم يتمكنوا من ذلك إلى أن خرجت التتر، واشتغل بهم جلال الدين ، فهرب غياث الدين ومن معه ، وقصدوا خوزستان ، وهي من بلاد الخليفة، فلم يمكنهم النائب بها من الدخول إلى البلد خوفا ان تكون هذه مكيدة، فبقي هناك ، فلما طال عليه الأمر فارق خوزستان ، وقصد بلاد الإسماعيلية ، فوصل اليهم ، واحتمى بهم واستجار بهم ، وكان جلال الدين قد فرغ من أمر التتر، وعاد تبريز، فأتاه الخبر، وهو بالميدان يلعب بالكرة أن أخاه قد قصد اصفهان ، فألقى الجو كان من يده ، وسار مجدا فسمع أن أخاه قصد الإسماعيلية ملتجئاً إليهم ، ولم يقصد اصفهان ، فعاد إلى بلاد الإسماعيلية لينهب بلادهم إن لم يسلموا إليه أخاه ، وأرسل بطلبه من مقدم الإسماعيلية ، فأعاد الجواب يقول : إن أخاك قد قصدنا ، وهو سلطان ابن سلطان ، ولا يجوز لنا ان نسلمه ، لكن نحن نتركه عندنا، ولا نمكنه ان يقصد شيئاً من بلادك ، ونسألك ان تشفعنا فيه والضمان علينا بما قلنا، ومتى كان منه ما تكره في بلادك ، فبلادنا حينئذ بين يديك تفعل فيها ما تختار، فأجابهم إلى ذلك ، واستحلفهم على الوفاء بذلك ، وعاد منهم ، وقصد خلاط على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر الحرب بين جلال الدين والتتر

في هذه السنة عاود التتر الخروج إلى الري ط وجرى بينهم وبين جلال الدين حروب كثيرة، اختلف الناس علينا في عددها، كان أكثرها عليه ، وفي الأخير كان الظفرُ له ، وكانت في أول حرب بينهم عجائب غريبة، وكان هؤلاء التتر قد سخط ملكهم جنكزخان

على مقدمهم ، وأبعده عنه ، وأخرجه من بلاده ، فقصد خراسان ، فراها خرابا ، فقصد الري ليتغلب على تلك النواحي والبلاد، فلقيه بها جلال الدين ، فاقتتلوا اشدَّ قتال ، ثم انهزم جلال الدين ، وعاود ، ثم انهزم ، وقصد اصفهان ، وأقام بينهما وبين الري ، وجمع عساكره ، ومن طاعته ، فكان فيمن أتاه صاحب بلاد فارس ، وهو ابن أتابك سعد ملك بعد وفاة أبيه – كما ذكرناه – وعاد جلال الدين إلى التتر، فلقيهم فبينما هم مصطفون كل طائفة مقابل الأخرى، انفرد غياث الدين أخو جلال الدين ، فيمن وافقه من الأمراء على مفارقة جلال الدين ، واعتزلوا وقصدوا الجهة ساروا اليها، فلما رآهم التتر قد فارقوا العسكر ظنوهم يريدون ان يأتوهم من وراء ظهورهم ويقاتلوهم من جهتين ، فانهزم التتر لهذا الظن ، وتبعهم صاحب بلاد فارس ، وأمَّا جلال الدين ، فإنه لما رأى مفارقة اخي! إياه ، ومن معه من الأمراء ظنَّ ان التتر قد رجعوا خديعة ليستدرجوه ، فعاد منهزما، ولم يجسر يدخل اصفهان لئلا يحصروه ، فمضى إلى سميدم ، وأمَّا صاحب فارس ، فلما أبعد في اثر التتر، ولم ير جلال الدين ولا عسكره معه خاف التتر، فعاد عنهم ، وأمَّا التتر، فلما لم يروا في آثارهم احداً يطلبهم وقفوا ، ثم عادوا إلى اصفهان ، فلم يجدوا في طريقهم من يمنعهم ، فوصلوا إلى اصفهان ، فحصروها، وأهلها يظنون ان جلال الدين قد عدم ، فبينما هم كذلك ، والتتر يحصروهم إذ وصل قاصد من جلال الدين اليهم يعرفهم سلامته ، ويقول : إني متعوق أو يجتمع إليَّ من سلم من العسكر ،وأقصدكم ، ونتفق انا وانتم على ازعاج التتر،

ونرحلهم عنكم ، فأرسلوا إليه يستدعونه اليهم ، ويعدونه النصرة والخروج معه إلى عدوه ، وفيهم شجاعة عظيمة، فسار اليهم واجتمع بهم ، وخرج أهل اصفهان معه ، فقاتلوا التتر، فانهزم التتر اقبح هزيمة ، وتبعهم جلال الدين إلى الري يقتل ويأسر فلما ابعدوا عن الري أقام بها، وأرسل إليه ابن جنكزخان يقول : إن هؤلاء ليسوا من أصحابنا انما نحن أبعدناهم عنا، فلما أمن جانب جنكزخان أمن ، وعاد إلى اذربيجان.

ذكر خروج الفرنج إلى الشام وعمارة صيدا

وفي هذه السنة خرج كثير من الفرنج من بلادهم ، التي هي في الغرب من صقلية، وما وراءها من البلاد إلى بلادهم التي بالشام عكّا وصور وغيرهما من ساحل الشام ، فكثر جمعهم، وكان قد خرج قبل هؤلاء جمعٌ آخر أيضاً، الا انهم لم تمكنهم الحركة

والشروع في أمر الحرب لأجل ان ملكهم الذي هو المقدمٍ عليهم هو ملك الالمان ولقبه انبرور، قيل : معناه ملك الأمراء، ولأن المعظم كان حيّا، وكان شهماً شجاعاً مقدماً، فلما توفي المعظم – كما ذكرناه – وولي بعده ابنه ، وملك دمشق طمع الفرنج ، وظهروا من عكا وصور وبيروت إلى مدينة صيدا ، وكانت مناصفة بينهم وبين المسلمين ، وسورها خراب ، فعمروها واستولوا عليها، وأزالوا عنها حكم المسلمين ، وإنما تم لهم ذلك بسبب تخريب الحصون القريبة منها تبنين وهونين وغيرهما، وقد تقدم ذكر ذلك قبل مستقصى ثم فعظمت شوكة الفرنج وقوي طمعهم واستولى في طريقه على جزيرة قبرس وملكها، وسار منها إلى عكا، فارتاع المسلمون لذلك ، والله تعالى يخذله وبنصر المسلمين بمحمد واله ، ثم إن ملكهم انبرور وصل إلى الشام .

ذكر ملك كيقباذ أرزنكان

وفي هذه السنة ملك علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج ارسلان –وهو صاحب قونية ،واقصرا وملطية ، وغيرها من بلاد الروم – أرزنكان ، وسبب ملكه اياها ان صاحبها وبهرام شاه ، وكان قد طال ملكه لها، وجاوز ستين سنة توفي ولم يزل في طاعة قلج ارسلان واولاده بعده ، فلما توفي ملك بعده ولده علاء الدين داود شاه ، فأرسل إليه كيقباذ يطلب منه عسكراً ليسير معه إلى مدينة ارزن الروم ليحصرها، ويكون هو مع العسكر، ففعل ذلك وسار في عسكره إليه ، فلما وصل قبض عليه واخذ مدينة أرزنكان منه ، وله احصن من امنع الحصون اسمه كماخ ، وفيه مستحفظ لداود شاه ،

فأرسل إليه ملك الروم يحصره ، فلم يقدر العسكر على القرب منه لعلوهِ وارتفاعه وامتناعه ، فتهدد داود شاه ان فم يسلم كماخ ، فأرسل إلى نائبه في التسليم ، فسلم القلعة إلى كيقباذ، وأراد كيقباذ المسير إلى ارزن الروم ليأخذها، وبها صاحبها ابن عمه طغرل شاه بن قلج ارسلان ، فلما سمع صاحبها بذلك أرسل إلى الأمير حسام الدين عني النائب عن الملك الأشرف بخلاط يستنجده ، واظهر طاعة الأشرف ، فسار حسام الدين فيمن عنده من العساكر، وكان قد جمعها من الشام وديار الجزيرة خوفاً من ملك الروم خافوا انه اذا ملك ارزن الروم ، يتعدى او يقصد خلاط ، فسار الحاجب حسام الدين إلى ارزن الروم ، ومنع عنها ، ولما سمع كيقباذ بوصول العساكر اليها لم يقدم على قصدها ، فسار من ارزنبكان إلى بلاده ، وكان قد أتاه الخبر ان الروم الكفَّار المجاورين لبلاده قد ملكوا منه حضناً،

يسمى صنوب ، وهو من احصن القلاع مطل على البحر بحر الخزر، فلما وصل إلى بلاده سيَّر العسكر إليه وحصره براً وبحراً ، فاستعاده من الروم ، وسار إلى انطاكية ليشتي بها على عادته .

ذكر خروج الملك الكامل

في هذه السنة في شوال سار الملك الكامل محمد بن الملك العادل صاحب مصر إلى الشام ، فوصل إلى البيت المقدس – حرسه الله تعالى – وجعله دار السلام أبدا ، ثم سار عنه ، وولى بمدينة نابلس ، وشحن على تلك البلاد جميعها، وكانت من اعمال دمشق ، وهو إلى الملك المعظم ، فخاف ان يقصده ويأخذ دمشق منه ، فأرسل إلى عمّه س الملك الأشرف ، يستنجده ويطلبه ليحضر عنده بدمشق ، فسار إليه جريدة ، فدخل دمشق فلما سمع الكامل بذلك لم يتقدَم إليه لأن البلد منيع ، وقد صار به من يمنعه ويحميه ، وأرسل إليه الملك الأشرف ، يستعطفه ويجرفه انه ما جاء إلى دمشق إلا طاعة له وموافقة لأغراضه والاتفاق معه على منع الفرنج عن البلاد، فأعاد الكامل الجواب يقول : إني ما جئت إلى هذه البلاد الا بسبب الفرنج ، فانهم لم يكن في البلاد من يمنعهم عمّا يريدونه ، وقد عمروا صيدا وبعض قيسارية، ولم يمنعوا، وأنت تعلم ان عمّنا السلطان صلاح الدين فتح البيت المقدس ، فصار لنا بذلك الذكر الجميل على تقضمي الأعصار، وممر الأيام ، فإن أخذه الفرنج حصل لنا من سوء الذكر، وقبح الأحدوِثة، ما يناقضن ذلك الذكر الجميل الذي ادخره عمنا، وأي وجه يبقى لنا عند الناس ، وعند الله – تعالى

– ثم انهم ما يقنعون حينئذ بما أخذوه ، ويتعدون إلى غيره ، وحيث قد حضرت انت فأنا أعود إلى مصر، واحفظ انت البلاد ولست بالذي يقال عني : اني قاتلت اخي أو حصرته – حاشى لله تعالى –، وتأخر عن نابلس نحو الديار المصرية، ونزل تل العجول ، فخاف الأشرف ، والناس قاطبة بالشام ، وعلموا أنه إن عاد استولى الفرنج على البيت المقدس وغيره ممّا يجاوره لا مانع دونه ، فترددت الرسل ، وسار الأشرف بنفسه إلى الكامل أخيه ، فحضر عنده ، وكان وصوله ليلة عيد الأضحية ، ومنعه من العود إلى مصر ، فأقاما بمكانهما .

ذكر نهب جلال الدين بلاد ارمينية

في هذه – السنة لأوصل جلال الدين خوارزمشاه إلى بلاد خلاط ، وتعدى خلاط إلى

صحراء موش ، وجبل حور، ونهب الجميع ، وسبى الحريم ، واسترق الأولاد، وقتل الرجال ، وخرب القرى، وعاد إلى بلاده ، ولما وصل الخبر إلى البلاد الجزرية حرّان وسروج وغيرهما انه قد جاز خلاط إلى جور، وانه قد قرب منهم ، خاف أهل البلاد ان يجيء اليهم لأن الزمان كان شتاء، وظنوا انه يقصد الجزيرة ليشتي بها لأن البرد بها ليس بالشديد، وعزموا على الانتقال من بلادهم إلى الشام ، ووصل بعض أهل سروج إلى منبج من ارض الشام ، فاتاهم الخبر انه قد نهب البلاد، وعاد فأقاموا ، وكان سبب عوده ان الثلج سقط ببلاد خلاط كثيرا لم يعهد مثله ، فأسرع العود.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة رخصت الأسعار بديار الجزيرة جميعها، وجاءت الغلات لهم من الحنطة والشعير جيّداً الا ان الرخص لم يبلغ الأول الذي كان قبل الغلاء، انما صارت الحنطة كل خمس مكاكيك بدينار، والشعير كل سبعة عشر مكوكا بالموصلي بدينار.

ثم دخلت سنة ست وعشرين وستمائة

ذكر تسليم البيت المقدس إلى الفرنج

في هذه السنة أول ربيع الآخر تسلم الفرنج – لعنهم الله – البيت المقدس صلحاً – اعاده الله إلى الاسلام سريعا – وسبب ذلك – ما ذكرناه – سنة خمس وعشرين وستمائة من خروج الانبرور، وملك الفرنج من بلاد الفرنج داخل البحر إلى ساحل الشام ، وكانت عساكره قد سبقته ، ونزلوا بالساحل ، وأفسدوا من جاورهم من بلاد المسلمين ، ومضى اليهم ، وهم بمدينة صور طائفة من المسلمين يسكنون الجبال المجاورة لمدينة صور، واطاعوهم ، وصاروا معهم ، وقوي طمع الفرنج بموت الملك المعظَّم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق ، ولمَّا وصل الأنبرور إلى الساحل نزل بمدينة عتهَا ، وكان الملك الكامل صاحب مصر قد خرج من الديار المصرية يريد الشام بعد وفاة أخيه المعظم ، وهو نازل بتل العجول يريد ان يملك دمشق من صلاح الدين داود بن المعظم ، وهو صاحبها يومئذ، وكان داود لما سمع بقصد عمه الملك الكامل له ، قد أرسل إلى عمّه الملك الأشرف صاحب البلاد الجزرية ، يستنجده ويطلب منه المساعدة على دفع عمه عنه ، فسار إلى دمشق فترددت الرسل بينه وبين أخيه الملك الكامل في الصلح ، فاصطلحا واتفقا وسار الملك الأشرف إلى الملك الكامل ، واجتمع به فلما اجتمعا تردّدت الرسل بينهما وبين الانبرور ملك الفرنج دفعات كثيرة ، فاستقرَّت القاعدة على ان يسلموا إليه البيت المقدس ومعه مواضع يسيرة من بلاده ، ويكون باقي البلاد مثل الخليل ونابلس والغور وطبرية وغير ذلك بيد المسلمين ، ولا يسلم

إلى الفرنج إلا البيت المقدس ، والمواضع التي استقرَّرت معه ، وكان سور البيت المقدس خرابا قد خربه الملك المعظم ، وقد ذكرنا ذلك ، وتسلم الفرنج البيت المقدس ، واستعظم المسلمون ذلك واكبروه ، ووجدوا له من الوهن والتألم ما لا يمكن وصفه يسر الله فتحه ،وعوده إلى المسلمين بمنه وكرمه آمين .

وفي هذه السنة يوم الاثنين ثاني شعبان ، ملك الملك الأشرف بن الملك العادل – مدينة دمشق من ابن أخيه صلاح الدين داود بن المعظم ، وسبب ذلك ما ذكرناه – ان صاحب دمشق لمّا خاف من عمه الملك الكامل أرسل إلى عمه الأشرف ، يستنجده ويستعين به على دفع الكامل ، فسار إليه من البلاد الجزرية، ودخل دمشق ، وفرح به صاحبها وأهل البلد ، وكانوا قد احتاطوا وهم يتجهزون للحصار، فأمر بإزالة ذلك ، وترك ما عزموا عليه من الاحتياط ، وحلف لصاحبها على المساعدة ، والحفظ له ولبلاده عليه ، وراسل الملك الكامل ، واصطلحا وظنَّ صاحب دمشق انه معهما في الصلح ، وسار الأشرف إلى أخيه الكامل ، واجتمعا في ذي الحجة من سنة خمس وعشرين يوم العيد، وسار صاحب دمشق إلى بيسان ، وأقام بها وعاد الملك الأشرف من عند أخيه ، واجتمع هو وصاحب دمشق ، ولم يكن الأشرف في كثرة من العسكر، فبينما هما جالسان في خيمة لهما ، وإذ قد دخل عز الدين أيبك مملوك المعظَّم الذي كان صاحب دمشق ، وهو أكبر أمير مع ولده فقال لصاحبه داود قم اخرج ، والاقبضت الساعة ، فأخرجه ولم يمكن الأشرف منعه لأن أيبك كان قد أركب العسكر الذي له جميعه ، وكانوا أكثر من الذين مع الأشرف ، فخرج داود، وسار هو وعسكره إلى دمشق ، وكان سبب ذلك أن أيبك قيل له ان الأشرف يريد القبض على صاحبه واخذ دمشق منه ففعل ذلك ، فلما عادوا وصلت العساكر من الكامل إلى الأشرف ، وسار فنازل دمشق وحصرها وأقام

محاصرا لها إلى ان وصل إليه الملك الكامل ، فحينئذ اشتد الحصار، وعظم الخطب على أهل البلد ، وبلغت القلوب الحناجر، وكان من أشد الأمور على صاحبها ان المال عنده قليل لأن امواله بالكرك ، ولوثوقه بعمه الأشرف لم يحضر منها شيئا، فاحتاج إلى ان باع حلي نسائه وملبوسهم ، وضاقت الأمور عليه ، فخرج إلى عمه الكامل ، وبذل له تسليم دمشق ، على ان يبقي عليه الكرك وقلعة الشويك والغور ونابلس وتلك الأعمال ، وان يبقى على ايبك قلعة صرخد واعمالها، وتسليم الكامل دمشق ، وجعل نائبه بالقلعة إلى ان سلم إليه أخوه الأشرف حرّان ، والرها ، والرقة ، وسروج ، ورأس العين من الجزيرة ، فلما تسلَّم ذلك سلَم قلعة دمشق إلى أخيه الأشرف ، فدخلها وأقام بها، وسار الكامل إلى الديار الجزرية ، فأقام بها إلى ان استدعى اخاه الأشرف بسبب حصر جلال الدين خوارزمشاه مدينة خلاط ، فلما حضر عنده بالرقة عاد الكامل إلى ديار مصر، وأمَّا

الأشرف فكان منه –ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر القبض على الحاجب علي وقتله

وفي هذه السنة ارسل الملك الأشرف مملوكه عز الدين أيبك ، وهو أمير كبير في دولته إلى مدينة خلاط ، وأمره بالقبض على الحاجب حسام الدين علي بن حماد، وهو المتولي لبلاد خلاط ، والحاكم فيها من قبل الأشرف ، ولم تعلم شيئا يوجب القبض عليه لأنه كان مشفقاً عليه ، ناصحا له ، حافظا لبلاده ، حسن السيرة مع الرعية، ولقد وقف هذه المدة الطويلة في وجه خوارزمشاه جلال الدين ، وحفظ خلاط حفظا يعجز غيره عنه ، وكان مهتما بحفظ بلاده وذابا عنها، وقد تقدَم من ذكر قصده بلاد جلال الدين والاستيلاء على بعضها ما يدل على همة عالية وشجاعة تامة، وصار لصاحبه به منزلة عظيمة، فإن الناس يقولون بعض غلمان الملك الأشرف يقاوم خوارزمشاه ، وكان – رحمه الله –كثير الخير والاحسان لا يمكن احداً من ظلم ، وعمل كثيرا من اعمال البر من الخانات في الطرق والمساجد في البلاد ، وبنى بخلاط بيمارستاناً وجامعاً ، وعمل كثيراً من الطرق واصلحها، كان يشق سلوكها، فلما وصل ايبك إلى خلاط قبض عليه ، ثم قتله غيلة لأنه كان عدوّه ولما قتل ظهر اثر كفايته ، فإن جلال الدين حصر خلّاط بعد قبضه ، وملكها على ما نذكره إن شاء الله ، ولم يمهل الله ايبك بل انتقم منه سريعاً، فإن جلال الدين أخف أيبك اسيراً لما ملك خلاط مع غيره من الأمراء ، فلما اصطلح الأشرف وجلال الدين اطلق الجميع وذكر ان ايبك قتل ، وكان سبب قتله أنّ مملوكا للحاجب علي ، كان قد هرب إلى جلال

الدين ، فلما أسر ايبك طلبه ذلك المملوك من جلال الدين ليقتله بصاحبه الحاجب علي ، فسلمه إليه فقتله ، وبلغني أن الملك الأشرف رأى في المنام كأن الحاجب علياً قد دخل إلى مجلس فيه أيبك ، فأخذ منديلا، وجعله في رقبة أيبك ،وأخذه وخرج ،فأصبح الملك الأشرف ، وقال قد مات أيبك ، فإني رأيت في المنام كذا وكذا .

ذكر ملك الكامل مدينة حماة

وفي هذه السنة اواخر شهر رمضان ملك الملك الكامل مدينة حماة، وسبب ذلك ان الملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر، وهو صاحب حماة توفي على ما نذكره ، ولما حضرته الوفاة حلف الجند، وأكابر البلد لولده الأكبر، ويلقب بالملك المظفَر، وكان قد سيَّره ابوه إلى الملك الكامل صاحب مصر لأنه كان قد تزوج بابنته ، وكان

لمحمد ولد آخر اسمه قلج أرسلان ، ولقبه صلاح الدين ، وهو بدمشق ، فحضر إلى مدينة حماة فسلمت إليه واستولى على المدينة وعلى قلعتها، فأرسل الملك الكامل يأمره ان يسلم البلد إلى أخيه الأكبر، فإن أباه أوصى له به ، فلم يفعل ، وترددت الرسل في ذلك إلى الملك المعظم صاحب دمشق ، فلم تقع الاجابة . فلما توفي المعظم وخرج الكامل إلى الشام ، وملك دمشق سيَّر جيشا إلى حماة، فحصرها ثالث شهر رمضان ، وكان المقدم على هذا الجيش أسد الدين شيركوه صاحب حمص ، وأمير كبير من عسكره يقال له : فخر الدين عثمان ، ومعهما ولد محمد تقي الدين الذي كان عند الكامل ، فبقي الحصار على البلد عدة أيام ، وكان الملك الكامل قد سار عن دمشق ، ونزل على سلمية يريد العبور إلى البلاد الجزرية حران وغيرها ، فلما نازلها قصده صاحب حماة صلاح الدين ، ونزل إليه من قلعته ، ولم يكن لذلك سبب إلا أمر الله تعالى . فإن صلاح الدين قال لأصحابه : أريد النزول إلى الملك الكامل ، فقالوا له : ليس بالشام احصن من قلعتك ، وقد جمعت من الذخائر ما لا حد له ، فلأي شيء تنزل إليه ليس هذا برأي ، فأصر على النزول واصروا على منعه ، فقال في آخر الأمر: اتركوني انزل ، وإلا القيت نفسي من القلعة، فحينئذ سكتوا عنه ، فنزل في نفر يسير، ووصل إلى الكامل ، فاعتقله إلى ان سلّم مدينة حماة وقلعتها إلى أخيه الاكبر الملك المظفر، وبقي بيده قلعة بارين حسب ، فإنها كانت له . وكان هو كالباحث بظلفه على حتفه .

وفي هذه السنة أوائل شوال حصر جلال الدين خوارزمشاه مدينة خلاط ، وهي للملك الأشرف ، وبها عسكره ، فامتنعوا بها، وأعانهم أهل البلد خوفاً من جلال الدين لسوء سيرته ، وأسرفوا في الشتم والسفه ، فأخذه اللجاج معهم ، وأقام عليهم جميع الشتاء محاصراً ، وفرق كثيرا من عساكره في القرى والبلاد القريبة من شدة البرد ، وكثرة الثلج ، فإن خلاط من اشدَ البلاد برداً واكثرها ثلجاً، وأبان جلال الدين عن عزم قويّ وصبر تحار العقول منه ، ونَصَبَ عليها عدَّة منجنيقات ، ولم يزل يرميها بالحجارة حتى خرب بعض سورها، فأعاد أهل البلد عمارته ، ولم يزل مصايرهم وملازمهم إلى اواخر جمادى الأولى من سنة سبع وعشرين ، فزحف اليها زحفا متتابعا، وملكها عنوة وقهراً يوم الأحد الثامن والعشرين من جمادى الأولى ، سلَّمها إليه بعض الأمراء غدراً ، فلما ملك

البلد صعد من فيه من الأمراء إلى القلعة التي لها، وامتنعوا بها، وهو منازلهم ، ووضع السيف في أهل البلد، وقتل من وجد به منهم ، وكانوا قد قلوا فإن بعضهم فارقوه خوفا، وبعضهم خرج منه من شدَّة الجوع ، وبعضهم مات من القبلة ، وعدم القوت ، فإن الناس في خلّاط اكلوا الغنم ، ثم البقر، ثم الجواميس ، ثم الخيل ، ثم الحمير، ثم البغال والكلاب والسنانير، وسمعنا أنهم كانوا يصطادون الفار ويأكلونه ، وصبروا صبراً لم يلحقهم فيه أحد، ولم يملك من بلاد خلاط وغيرها وما سواها من البلاد لم يكونوا ملكوه ، وخربوا خلاط ، وأكثروا القتل فيها ، ومن سلم هرب في البلاد، وسبوا الحريم ، واسترقوا الأولاد ، وباعوا الجميع ، فتمزقوا كل ممزق ، وتفرقوا في البلاد ، ونهبوا الأموال ، وجرى على أهلها ما لم يسمع بمثله ، لا جرم لم يمهله الله تعالى ، وجرى عليه من الهزيمة بين المسلمين والتتر–ما نذكره ان شاء الله تعالى .

ذكر عدة حوادث

في اواخر هذه السنة قصد الفرنج حصن بارين بالشام ، ونهبوا بلاده واعماله ، وأسروا وسبوا ، ومن جملة من ظفروا به طائفة من التركمان كانوا نازلين في ولاية بارين ، فأخذوا الجميع ، ولم يسلم منهم إلا النادر الشاذ والله أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وستمائة

ذكر انهزام جلال الدين من كيقباذ والأشرف

في هذه السنة يوم السبت الثامن والعشرين من رمضان انهزم جلال الدين خوارزمشاه ، من علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج ارسلان ، صاحب بلاد الروم قونية واقصرا وسيواس وملطية وغيرها، ومن الملك الأشرف صاحب دمشق وديار الجزيرة وخلاط ، وسبب ذلك ان جلال الدين كان قد اطاعه صاحب ارزن الروم ، وهو ابن عم علاء الدين ملك الروم ، وبينه وبين علاء الدين عداوة مستحكمة، وحضر صاحب ارزن الروم عند جلال الدين على خلاط ، واعانه على حصرها فخافهما علاء الدين ، فأرسل إلى الملك الكامل ، وهو حينئذ بحران يطلب منه ان يحضر اخاه الأشرف من دمشق ، فإنه كان مقيما بها بعد ان ملكها، وتابع علاء الدين الرسل بذلك خوفا من جلال الدين ، فأحضر الملك الكامل أخاه الأشرف من دمشق ، فحضر عنده ، ورسل علاء الدين إليهما متتابعة،يحثُّ الأشرف على المجيء إليه ، والاجتماع به حتى قيل : إنه في يوم واحد وصل إلى الكامل والأشرف من علاء الدين خمسة رسل ، ويطلب من الجميع وصول الأشرف إليه ، ولو وحده ، فجمع عساكر الجزيرة والشام ، وسار إلى علاء الدين ، فاجتمعا بسيواس ، وسارا نحو خلاط ، فسمع جلال الدين بهما، فسار إليهما مجدّا في السير، فوصل إليهما بمكان يعرف بباسي حمار، وهو من اعمال ارزنجان ، فالتقوا هناك ، وكان مع علاء الدين خلق كثير قيل : كانوا عشرين الف فارس ، وكان مع الأشرف نحو خمسة آلاف إلا انهم من العساكر الجيدة الشجعان لهم السلاح الكثير والدواب الفارهة من

العربيات ، وكل منهم قد جرب الحرب ، وكان المقدم عليهم أمير من أمراء عساكر حلب يقال له : عز الدين عمر بن علي ، وهو من الأكراد الهكارية ، ومن الشجاعة في الدرجة العليا ، وله الأوصاف الجميلة ، والأخلاق الكريمة ،

فلما التقوا بهت جلال الدين لما رأى من كثرة العساكر، لا سيما لما رأى عسكر الشام ، فإنه شاهد من تجملهم وسلاحهم ودوابهم ما ملأ صدره رعبا، فأنشب عز الدين بن علي القتال ، ومعه عسكر حلب ، فلم يقم لهم جلال الدين ، ولا صبر ومضى منهزما هو وعسكره لا يلوي الأخ علي أخيه ، وتفرّقت اصحابه ، وتمزقوا كل ممزق وعاد إلى خلاط فاستصحبوا معهم من فيها من اصحابهم ، وعادوا إلى اذربيجان ، فنزلوا عند مدينة خوى، ولم يكونوا قد استولوا على شيء من اعمال خلاط سوى خلاط ، ووصل الملك الأشرف إلى خلاط ، فرآها خاوية على عروشها خالية من الأهل والسكان قد جرى عليهم ما ذكرناه قبل .

ذكر ملك علاء الدين ارزن الروم

قد ذكرنا ان صاحب ارزن الروم كان مع جلال الدين على خلاط ، ولم يزل معه ، وشهد معه المصاف المذكور، فلما انهزم جلال الدين أخذ صاحب أرزن الروم أسيراً ، فأحضر عند علاء الدين كيقباذ ابن عمه ، فأخذه وقصد ارزن الروم ، فسلمها صاحبها إليه ، هي وما يتبعها من القلاع والخزائن وغيرها ، فكان كما قيل (خرجت النعامة تطلب قرنين فعادت بلا أذنين)، وهكذا هذا المسكين جاء إلى جلال الدين لجب الزيادة، فوعده بشيء من بلاد علاء الدين ، فأخذ ماله وما بيديه من البلاد، وبقي اسيرا، فسبحان من لا يزول ملكه .

ذكر الصلح بين الأشرف وعلاء الدين وبين جلال الدين

لما عاد الأشرف إلى خلاط ومضى جلال الدين منهزما إلى خوى ترددت الرسل بينهما فم اصطلحوا كل منهم على ما

بيده ، واستقرت القواعد على ذلك ، وتحالفوا فلما استقرَّ الصلح وجرت الأيمان عاد الأشرف إلى سنجار، وسار منها إلى دمشق ، فأقام جلال الدين ببلاده من اذربيجان إلى ان خرج عليه التتر على ما نذكره ان شاء الله تعالى .

ذكر ملك شهاب الدين غازي مدينة ارزن

كان حسام الدين صاحب مدينة ارزن من ديار بكر لم يزل مصاحبا للملك الأشرف مناصحا له مشاهدا جميع حروبه وحوادثه ، وينفق امواله في طاعته ، ويبذل نفسه وعساكره في مساعدته ، فهو يعادي اعداءه ، ويوالي اولياءه ، ومن جملة موافقته ، انه كان

في خلاط لما حصرها جلال الدين ، ولقي من الشدة والخوف ما لقيه بها ، وصبر إلى ان ملكها جلال الدين ، فأسره جلال الدين ، وأراد ان يأخذ منه مدينة ارزن ، فقيل له : ان هذا من بيت قديم عريق في الملك ، وانه ورث هذه أرزن من اسلافه ، وكان لهم سواها من البلاد ، فخرج الجميع من أيديهم ، فعطف عليه ورق له ، وأبقى عليه مدينته ، وأخذ عليه العهود والمواثيق انه لا يقاتله ، فعاد إلى بلده ، وأقام به ، فلما جاء الملك الأشرف وعلاء الدين محاربين لجلال الدين سار شهاب الدين غازي بن الملك العادل ، وهو أخو الأشرف ، وله مدينة ميافارقين ، ومدينة حانى ، وهو بمدينة ارزن ، فحصره بها ثم ملكها صلحاً، وعوضه عنها بمدينة حاني من ديار بكر وحسام الدين ، هذا نعم الرجل حسن السيرة كريم جواد ، لا يخلو بابه من جماعة يريدون إليه يستمنحونه ، وسيرته جميلة في ولايته ورعيته ، وهو من بيت قديم يقال له : بيت طغان أرسلان ، كان لهم من أرزن بدليس ووسطان وغيرهما، ويقال لهم : بيت الأحدب ، وهذه البلاد معهم من أيام ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي فأخذ بكتمر صاحب خلاط منهم بدليس ، اخذها من عمّ حسام الدين هذا لأنه كان موافقا لصلاح الدين يوسف بن أيوب ، فقصده بكتمر لذلك ، وبقيت ارزن بيد هذا إلى الآن ، فأخذت منه ، ولكل أول آخر، فسبحان من لا أول له ولا آخر لبقائه .

ذكر ملك صونج قشيالوا قلعة رويندز

وفي هذه السنة ظهر أمير من أمراء التركمان ، اسمه صونج ، ولقبه شمس الدين واسم قبيلته قشيالوا وقوي امره ،

وقطع الطريق ، وكثر جمعه ، وكان بين إربل وهمذان ، وهو ومن معه يقطعون الطريق ، ويفسدون في الأرض ، ثم انه تعدَى إلى قلعة منيعة اسمها سارو، وهي لمظفّر الدين ، وقتل عندها اميرا كبيرا من امراء مظفَر الدين ، يعرف بعزَ الدين الحميدي ، فجمع مظفَّر الدين ، وأراد استعادتها منه ، فلم يمكنه لحصانتها ، ولكثرة الجموع مع هذا الرجل ، فاصطلحا على ترك القلعة بيده ، وكان عسكر لجلال الدين خوارزمشاه يحصرون قلعة رويندز، وهي من قلاع أذربيجان من احصن القلاع ، وامنعها لا يوجد مثلها ، وقد طال الحصار على من بها ، فأذعنوا بالتسليم ، فأرسل جلال الدين بعض خواص اصحابه ، وثقاته ليتسلمها، وأرسل معه الخلع والمال لمن بها، فلما صعد ذلك القاصد إلى القلعة، وتسلمها اعطى بعض من بالقلعة، ولم يعط

البعض ، واستذلهم ، وطمع فيهم حيث استولى على الحصن ، فلما رأى من لم يأخذ شيئاً من الخلع والمال ما فعل بهم ارسلوا إلى صونج يطلبونه ليسلموا إليه القلعة، فسار اليهم في اصحابه ، فسلموها إليه ، فسبحان من اذا أراد أمرا سهله ، هذه قلعة رويندز ، لم تزل تتقاصر عنها قدرة أكابر الملوك وعظمائهم من قديم الزمان وحديثه ، وتضرب الأمثال بحصانتها لما اراد الله – سبحانه وتعالى – ان يملكها هذا الرجل الضعيف ، سفل له الأمور، فملكها بغير قتال ، ولا تعب ، وازال عنها اصحاب مثل جلال الدين الذي كل ملوك الأرض تهابه وتخافه ، وكان اصحاب جلال الدين كما قيل : رب ساع لقاعد ، فلما ملكها صونج طمع في غيرها، لا سيما مع اشتغال جلال الدين بما أصابه من الهزيمة ومجيء التتر، فنزل من القلعة إلى مراغة، وهي قريب منها فحصرها، فأتاه سهم غرب فقتله ، فلما قتل ملك رويندز أخوه ، ثم إن هذا الأخ الثاني نزل من القلعة، وقصد أعمال تبريز ونهبها، وعاد إلى القلعة ليجعل فيها من ذلك النهب والغنيمة ذخيرة خوفاً من التتر ، وكانوا قد خرجوا فصادفه طائفة من التتر، فقتلوه وأخذوا ما معه من النهب ، ولما قتل ملك القلعة ابن أخت له ، وكان هذا جميعه في مدّة سنتين ، فأفّ لدنيا لا تزال تتبع فرحة بترحة ، وكل حسنة بسيئة .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وستمائة

ذكر خروج التتر إلى اذربيجان وما كان منهم

في اول هذه السنة وصل التتر من بلاد ما وراء النهر إلى اذربيجان وقد ذكرنا قبل كيف ملكوا ما وراء النهر، وما صنعوه بخراسان ، وغيرها من البلاد من النهب ، والتخريب والقتل ، واستقر ملكهم بما وراء النهر، وعادت بلاد ما وراء النهر انعمرت ، وعمروا مدينة تقارب مدينة خوارزم عظيمة ، وبقيت مدن خراسان خرابا لا يجسر أحد من المسلمين يسكنها، وأمَّا التتر، فكانوا تغير كل قليل طائفة منهم ينهبون ما يرونه بها، فالبلاد خاوية على عروشها، فلم يزالوا كذلك ، إلى ان ظهر منهم طائفة سنة خمس وعشرين ، فكان بينهم وبين جلال الدين ما ذكرناه ، وبقوا كذلك ، فلما كان الآن ، وانهزم جلال الدين من علاء الدين كيقباذ، ومن الأشرف – كما ذكرناه – سنة سبع وعشرين أرسل مقدم الإسماعيلية الملاحدة إلى التتر يعرفهم ضعف جلال الدين بالهزيمة الكائنة عليه ، ويحثهم على قصده ، عقيب الضعف ، ويضمن لهم الظفر به ، للوهن الذي صاروا إليه ، وكان جلال الدين سيء السيرة، قبيح التدبير لملكه ، لم يترك احدا من الملوك المجاورين له الا عاداه ، ونازعه الملك ، وأساء مجاورته ، فمن ذلك انه . أول ما ظهر في اصفهان ، وجمع العساكر قصد خوزستان ، فحصر مدينة ششتر وهي للخليفة فحصرها،وسار إلى دقوقا فنهبها،وقتل فيها فأكثر وهي خليفة أيضاً، ثم ملك اذربيجان ، وهي لأوزبك ، فملكها ، وقصد الكرج وهزمهم ، وعاداهم ، ثم عادى الملك الأشرف ، صاحب خلاب ، ثم عادى علاء الدين صاحب بلاد الروم ، وعادى الإسماعيلية، ونهب

بلادهم وقتل فيهم ، فأكثرَ وقرر عليهم وظيفة من المال كل سنة، وكذلك غيرهم ، فكل من الملوك تخلّى عنه ، ولم يأخذ بيده ، فلما وصلت كتب مقدم الإسماعيلية إلى التتر يستدعيهم إلى قصد جلال الدين ، بادر طائفة منهم فدخلوا بلاده ، –

واستولوا على الري ، وهمذان وما بينهما من البلاد ، ثم قصدوا اذربيجان ، فخربوا ونهبوا وقتلوا من ظفروا به من أهلها، وجلال الدين لا يقدم على أن يلقاهم ، ولا يقدر على منعهم عن البلاد، قد ملىء رعباً وخوفاً، وانضاف إلى ذلك ان عسكره اختلفوا عليه ، وخرج وزيره عن طاعته في طائفة كثيرة من العسكر، وكان السبب ان غريبا اظهر من قلة عقل جلال الدين ما لم يسمع بمثله ، وذلك أنه كان له خادم خصي ، وكان جلال الدين يهواه واسمه قلج ، فاتفق ان الخادم مات فاظهر من الهلع والجزع عليه ما لم يسمع بمثله ، ولا لمجنون ليلى ، وأمر الجند والأمراء ان يمشوا في جنازته رجالة، وكان موته بموضع بينه وبين تبريز عدَّة فراسخ ، فمشى الناس رجالة ومشى بعض الطريق راجلا، فألزمه امراؤه ووزيره بالركوب ، فلما وصل إلى تبريز ارسل إلى أهل البلد، فأمرهم بالخروج عن البلد لتلقي تابوت الخادم ، ففعلوا، فأنكر عليهم حيث لم يبعدوا، ولم يظهروا من الحزن والبكاء اكثر مما فعلوا، وأراد معاقبتهم على ذلك ، فشفع فيهم امراؤه ، فتركهم ، ثم لم يدفن ذلك الخصي ،وإنما كان يستصحبه معه اين ساروا ، وهو يلطم ويبكي ، فامتنع من الأكل والشراب ، وكان اذا قدم له طعام يقول احملوا من هذا إلى قلج ، ولا يتجاسر أحد يقول انه مات ، فانه قيل له مرة: إنه مات فقتل القائل له ذلك ، إنما كانوا يحملون إليه الطعام ويعودون ، يقولون : إنه يقبل الأرض ، ويقول : إنني اصلح مما كنت ، فلحق امراءه من الغيظ والأنفة من هذه الحالة ما حملهم على مفارقة طاعته ، والانحياز عنه مع وزيره ، فبقي حيران لا

يدري ما يصنع لا سيما لما خرج التتر، فحينئذ دفن الغلام الخصي ، وراسل الوزير واستماله وخدعه إلى ان حضر عنده ، فلما وصل إليه بقي أياما وقتله جلال الدين ، وهذه نادرة غريبة لم يسمع بمثلها .

ذكر ملك التتر مراغة

وفي هذه السنة حصر التتر مراغة من اذربيجان ، .فامتنع أهلها، ثم اذعن أهلها ، بالتسليم على امان طلبوه ، فبذلوا لهم الأمان وتسلموا البلد، وقتلوا فيه إلا انهم لم يكثروا القتل ، وجعلوا في البلد شحنة، وعظم حينئذ شان التتر، واشتد خوف الناس منهم بأذربيجان ، –فالله تعالى ينصر الِإسلام والمسلمين نصرا من عنده ، فما نرى في ملوك الإسلام من له رغبة في الجهاد، ولا في نصرة الدين بل كل منهم مقبل على لهوه ولعبه وظلم رعيته ،وهذا اخوف عندي من العدو، وقال الله تعالى { اتقوا فتنة لا تصيبن

الذين ظلموا منكم خاصة } .

ذكر وصول جلال الدين إلى آمد وانهزامه عندها وما كان منه

لمّا رأى جلال الدين ما يفعله التتر في بلاد أذربيجان ، وانهم مقيمون بها يقتلون وينهبون ، ويخربون السواد ، ويجبون الأموال ، وهم عازمون على قصده ، ورأى ما هو عليه من الوهن والضعف فارق اذربيجان إلى بلاد خلاط ، وأرسل إلى النائب بها عن الملك الأشرف ، يقول له : ما جئنا للحرب ، ولا للأذى، انما خوف هذا العدو حملنا على قصد بلادكم ، وكان عازما على ان يقصد ديار بكر والجزيرة ، ويقصد باب الخليفة يستنجده ، وجميع الملوك على التتر، ويطلب منهم المساعدة على دفعهم ، ويحذرهم عاقبة اهمالهم ، فوصل إلى خلاط ، فبلغه ان التتر يطلبونه ،وهم مجدون في أثره ، فسار إلى آمد، وجعل اليزك في عدة مواضع خوفا من البيات ، فجاءت طائفة من التتر يقصدون أثره ، فوصلوا إليه على غير الطريق الذي فيه اليزك ، فأوقعوا به ليلاً وهو بظاهر مدينة آمد، فمض منهزما على وجهه وتفرق من معه من العسكر في كل وجه فقصد طائفة من عسكره حرّان فأوقع بهم الأمير صواب مقدم الملك الكامل بحران ومعه العسكر فأخذوا ما معهم من مال وسلاح ودواب ، وقصد طائفة منهم نصيبين والموصل وسنجار واربل وغير ذلك من البلاد، فتخطفهم الملوك والرعايا، وطمع فيهم كل أحد حتى الفلاح والكردي والبدوي وغيرهم ، وانتقم منهم وجازاهم على سؤ صنيعهم ، وقبيح فعلهم في خلاط وغيرها، وبما سعوا في الأرض فسادا، والله لا يحب المفسدين ، فازداد جلال الدين ضعفاً إلى ض فه

ووهنا إلى وهنه ، بمن تفرَّق من عسكره ، وبما جرى عليهم ، فلما فعل التتر بهم ذلك ، ومضى منهزما منهم دخلوا ديار بكر في طلبه لأنهم لم يعلموا اين قصد، ولا أي طريق سلك ، فسبحان من بدل امنهم خوفا، وعزهم ذلا وكثرتهم قلة، فتبارك الله رب العالمين –الفعّال لما يشاء.

ذكر دخول التتر دِيار بكر والجزيرة وما فعلوه في البلاد من الفساد

لما انهزم جلال الدين من التتر على آمد نهب التتر سواد آمد وارزن وميافارقين ، وقصدوا مدينة اسعرد ، فقاتلهم أهلها ، فبذل لهم التتر الأمان ، فوثقوا منهم واستسلموا فلما تمكن التتر منهم بذلوا فيهم السيف وقتلوهم حتى كادوا يأتون عليهم ، فلم يسلم منهم إلا من اختفى وقليل ما هم .

حكى لي بعض التجار، وكان قد وصل آمد انهم حزروا القتلى ما يزيد على خمسة عشر الف قتيل ، وكان مع هذا التاجر جارية من اسعرد، فذكرت ان سيدها خرج ليقاتل ، وكان له ام فمنعته ، ولم يكن لها ولد سواه ، فلم يصغ إلى قولها، فمشت معه فقتلا جميعا، وورثها ابن الاخ للام ، فباعها من هذا التاجر، وذكرت من كثرة القتلى أمرا عظيما ، وان مدة الحصار كانت خمسة أيام ، ثم ساروا منها إلى مدينة طنزة ، ففعلوا فيها كذلك ، وساروا من طنزة إلى واد بالقرب من طنزة ، يقال له : وادي القريشية فيه طائفة من الأكراد يقال لهم : القريشية، وفيه مياه جارية وبساتين كثيرة، والطريق إليه ضيق ، فقاتلهم القريشية فمنعوهم عنه وامتنعوا عليهم ، وقتل منهم كثير، فعاد التتر، ولم يبلغوا منهم غرضا ، وساروا في البلاد لا مانع يمنعهم ، ولا أحد يقف بين أيديهم ، فوصلوا إلى ماردين ، فنهبوا ما وجدوا من بلدها واحتمى صاحب ماردين وأهل دنيسر بقلعة ماردين ، وغيرهم ممن جاور القلعة احتمى بها أيضاً، ثم وصلوا الى نصيبين الجزيرة، فأقاموا عليها بعض نهار ونهبوا سوادها، وقتلوا من ظفروا به ، وغلقت ابوابها، فعادوا عنها، ومضوا إلى بلد سنجار، ووصلوا إلى الجبال ، من اعمال سنجار فنهبوها، ودخلوا إلى الخابور، فوصلوا إلى عرابان ، فنهبوا ، وقتلوا ، وعادوا ، ومض طائفة منهم على طريق الموصل ، فوصلوا إلى قرية تسمى المؤنسة، وهي على مرحلة من نصيبين بينها وبين الموصل ، فنهبوها واحتمى أهلها وغيرهم بخان فيها فقتلوا كل من فيه .

وحُكي لي عن رجل منهم انه قال : اخفيت منهم ببيت فيه تبن فلم يظفروا بي ، وكنت اراهم من نافذة في البيت ، فكانوا اذا ارادوا قتل انسان فيقول :لا بالله فيقتلونه ، فلما فرغوا من القرية، ونهبوا ما فيها، وسبوا الحريم ، رأيتهم وهم يلعبون على الخيل ، ويضحكون ويغنون بلغتهم بقول : لا بالله)ومض طائفة منهم إلى نصيبين الروم ، وهي على الفرات ، وهي من اعمال آمد، فنهبوها وقتلوا فيها، ثم عادوا إلى آمد، ثم إلى بلد بدليس ، فتحصَّن أهلها بالقلعة والجبال ، فقتلوا فيها يسيرا واحرقوا المدينة .

وحكى انسان من أهلها، قال : لو كان عندنا خمسمائة فارس لم يسلم من التتر أحد، لأن الطريق ضيق بين الجبال ، والقليل يقدر على منع الكثير، ثم ساروا من بدليس إلى خلاط ، فحصروا مدينة من أعمال خلاط ، يقال لها : باكري ، وهي من أحصن البلاد، فملكوها عنوة، وقتلوا كل من بها، وقصدوا مدينة ارجيش من اعمال خلاط ،

وهي مدينة كبيرة عظيمة، ففعلوا كذلك ، وكان هذا في ذي الحجة، ولقد حُكِيَ لي عنهم حكايات يكاد سامعها يكذب بها من الخوف الذي القاه الله – سبحانه وتعالى – في قلوب الناس منهم ، حتى قيل ان الرجل الواحد منهم كان يدخل القرية أو الدرب ، وبه جمع كثير من الناس ، فلا يزال يقتلهم واحداً بعد واحد لا يتجاسر أحد يمد يده إلى ذلك الفارس ، ولقد بلغني ان انسانا منهم اخذ رجلا، ولم يكن مع التتري ما يقتله به ، فقال له : ضع رأسك على الأرض ولا تبرح ، فوضع رأسه على الأرض ، ومضى التتري احضر سيفاً فقتله به .

وحكى لي رجل قال : كنت انا ومعي سبعة عشر رجلا في طريق ، فجاءنا فارس من التتر، وقال لنا: حتى يكتف بعضنا بعضا، فشرع اصحابي يفعلون ما أمرهم ،فقلت لهم : هذا واحد فلم لا نقتله ونهرب ، فقالوا نخاف ، فقلت : هذا يريد قتلكم الساعة، فنحن نقتله ، فلعل الله يخلصنا فوالله ما جسر أحد يفعل ذلك فأخذت سكينا وقتلته ، وهربنا فنجونا وامثال هذا كثير.

ذكر وصول طائفة من التتر إلى اربل ودقوقا

في هذه السنة في ذي الحجة وصل طائفة من التتر من اذربيجان إلى اعمال اربل ، فقتلوا من على طريقهم من التركمان الأيوائية ، والأكراد والجوزقان ، وغيرهم إلى ان دخلوا بلد اربل فنهبوا القرى، وقتلوا من ظفروا به أهل تلك الأعمال ، وعملوا الأعمال الشنيعة التي لم يسمع بمثلها من غيرهم ، وبرز مظفر الدين صاحب اربل في عساكره واستمد عساكر الموصل ، فساروا إليه ، فلما بلغه عود التتر إلى

اذربيجان ، أقام في بلاده ، ولم يتبعهم ، فوصلوا إلى بلد الكرخيني ، وبلد دقوقا ، وغير ذلك وعادوا سالمين لم يذعرهم أحد، ولا وقف في وجوههم فارس ،وهذه مصائب وحوادث لم يرَ الناس من قديم الزمان وحديثه ما يقاربها – فالله سبحانه وتعالى – يلطف بالمسلمين ويرحمهم ، ويرد هذا العدو عنهم ، وخرجت هذه السنة، ولم نتحقق لجلال الدين خبرا ، ولا نعلم هل قتل او اختفى لم يظهر نفسه خوفا من التتر، أو فارق البلاد إلى غيرها – والله أعلم .

ذكر طاعة أهل أذربيجان للتتر

في أول هذه السنة أطاع أهل بلاد اذربيجان جميعها للتتر ، وحملوا اليهم الأموال

والثياب الخطائي والخويي والعتابي ، وغير ذلك ، وسبب طاعتهم أن جلال الدين لما انهزم على آمد من التتر، وتفرقت عساكره ، وتمزقوا كل ممزّق ، وتحفظهم الناس ، وفعل التتر بديار بكر والجزيرة واربل وخلاط ما فعلوا ، ولم بمنعهم أحد، ولا وقف في وجوههم فارس ، وملوك الاسلام منحجرون في الاثقاب ، وانضاف إلى هذا انقطاع اخبار جلال الدين ، فانه لم يظهر له خبر، ولا علموا له حالا سقط في أيديهم ، واذعنوا للتتر بالطاعة، وحملوا اليهم ما طلبوا منهم من الأموال والثياب ، من ذلك مدينة تبريز التي هي اصل بلاد أذربيجان ، ومرجع الجميع اليها ، والى من بها، فإن ملك التتر نزل في عساكره بالقرب منها، وأرسل إلى أهلها يدعوهم الى طاعته ، ويتهددهم ان امتنعوا عليه ، فأرسلوا اليه المال الكثير والتحف من أنواع الثياب الا بريسم وغيرها وكل شيء حق الخمر، وبذلوا له الطاعة، فأعاد الجواب يشكرهم ، ويطلب منهم ان يحضر مقدموهم ر عنده ، فقصده قاضي البلد ورئيسه ، وجماعة من اعيان اهله ، وتخلف عنهم شمس الدين الطغرائي ، وهو الذي يرجع الجميع اليه الا انه لا يظهر شيئا من ذلك ، فلما حضروا جنده سألهم عن امتناع الطغرائي ، فقالوا : إنه رجل منقطع ما له بالملوك تعلق ، ونحن الأصل ، فسكت ، ثم طلب ان يحضروا عنده من صنَّاع الثياب الخطائي وغيرها ليستعمل لملكهم الأعظم ، فإن هذا هو من اتباع ذلك الملك ، فاحضروا الصناع ، فاستعملهم في الذي ارادوا ووزن أهل تبريز الثمن ، وطلب منهم خركاة لملكهم أيضاً ، فعملوا له خركاة لم يعمل مثلها، وعملوا غشاءها من الأطلس الجيد المزركش ، وعملوا من داخلها السمور والقندر، فجاءت عليهم بجملة كثيرة، وقرّر عليهم من المال كل

سنة شيئا كثيرا ، ومن الثياب كذلك ، وترددت رسلهم إلى ديوان الخلافة ، وإلى جماعة من الملوك يطلبون منهم انهم لا ينصرون خوارزمشاه ، ولقد وقفت على كتاب وصل من تاجر من أهل الري ، كان قد انتقل إلى الموصل ، وأقام بها هو ورفقاء له ، ثم سافر إلى الري في العام الماضي قبل خروج التتر، فلما وصل التتر إلى الري ، وأطاعهم أهلها، وساروا إلى اذربيجان سار هو معهم إلى تبريز، فكتب إلى اصحابه بالموصل يقول : إن الكافر– لعنه الله –ما نقدر نصفه ، ولا كثرة جموعه حتى لا تنقطع قلوب المسلمين ، فإن الأمر عظيم ولا تظنوا ان هذه الطائفة التي وصلت إلى نصيبين والخابور والطائفة الأخرى التي وصلت إلى اربل ودقوقا كان تصدهم النهب ، إنما ارادوا ان يعلموا هل في البلاد من يردهم أم لا، فلما عادوا اخبروا ملكهم بخلوْ البلاد من مانع ومدافع ، وان البلاد

خالية من ملك وعساكر، فقوي طمعهم ، وهم في الربيع يقصدونكم ، وما يبقى عندكم مقام الا ان كان في بلد الغرب ، فان عزمهم على قصد البلاد جميعها، فانظروا لأنفسكم هذا مضمون الكتاب ، – فإنا لله وإنا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم –، وأما جلال الدين ، فإلى آخر سنة ثمان وعشرين لم يظهر له خبر، وكذلك إلى سلخ صفر سنة تسع لم نقف له على حال ، والته المستعان .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة قلَّت الأمطار بديار الجزيرة والشام ، لا سيما حلب واعمالها ، فإنها كانت قليلة بالمرة، وغلت الأسعار بالبلاد وكان اشدها غلاء حلب ، الا انه لم يكن بالشديد مثل ما تقدَّم في السنين الماضية ، فأخرج اتابك شهاب الدين ، وهو والي الأمر بحلب والمرجع إلى امره ونهيه ، وهو المدير لدولة سلطانها الملك العزيز بن الملك الظاهر، والمربي له من المال والغلات كثيرا ، وتصدق صدقات دارة ، وساس البلاد سياسة حسنة، بحيث لم يظهر للغلاء اثر، فجزاه الله خيرا.

وفيها بنى أسد الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة قلعة عند سلمية، وسماها سميس ، وكان الملك الكامل لما خرج من مصر إلى الشام قد خدمه أسد الدين ونصح له وله اثر عظيم في طاعته والمقاتلة بين يديه ، فأقطعه مدينة سلمية، فبنى هذه القلعة بالقرب من سلمية، وهي على تل عال .

وفيها قصد الفرنج الذين بالشام مدينة جبلة، وهي بين جملة المدن المضافة إلى حلب ، ودخلوا إليها ، وأخذوا منها غنيمة وأسرى ، فسيَّر اتابك شهاب الدين اليهم العساكر مع أمير كان

اقطعها ، فقاتل الفرنج ، وقتل منهم كثيرا ، واسترد الأسرى والغنيمة .

وفيها توفي القاضي ابن غنائم بن العديم الحلبي الشيخ الصالح ، وكان من المجتهدين في العبادة والرياضة والعاملين بعلمهم ، فلو قال قائل : انه لم يكن في زمانه اعبد منه لكان صادقا – فرضي الله عنه وأرضاه – فإنه من جملة شيوخنا، سمعنا عليه الحديث وانتفعنا برؤيته وكلامه .

وفيها أيضاً في الثاني عشر من ربيع الأول ، توفي صديقنا ابو القاسم عبد المجيد بن العجمي الحلبي ، وهو وأهل بيته مقدمو السنة بحلب وكان رجلا ذا مروءة غزيرة ، وخلق

حسن ، وحلم وافر، ورياسة كثيرة، يحب إطعام الطعام ، وأحب الناس اليه من يأكل طعامه ، ويقبل بره ، وكان يلقى أضيافه بوجه منبسط ، ولا يقعد عن ايصال راحة ، وقضاء حاجة ، فرحمه الله رحمة واسعة

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستمائة

(تم بعون اللّه تعالى كتاب الكامل في التاريخ)

والحمد للّه أولًا وآخراً

سنة اثنتيّ وستين وخمسمائة

3

ذكر عود أسد الدين شيركوه

3

ذكر ملك أسد الدين الإسكندرية وعوده إلى الشام

4

ذكر ملك نور الدين صافيثا وعريمة

5

ذكر قصد ابن شنكا البصرة

6

ذكر قصد شملة العراق

6

ذكر عدة حوادث

6

سنة ثلاث وستين وخمسمائة

8

ذكر فراق زين الدين الموصل وتحكم قطب الدين في البلاد

8

ذكر الحرب بين البهلوان وصاحب مراغة

8

ذكر عدة حوادث

9

سنة أربع وستين وخمسمائة

11

ذكر ملك نور الدين قلعة جعبر

11

ذكر ملك أسد الدين مصر وقتل شاور

11

ذكر وفاة أسد الدين شيركوه

15

ذكر ملك صلاح الدين مصر

16

ذكر وقعة السودان بمصر

18

ذكر ملك شملة فارس ، وإخراجه عنها

19

ذكر ملك ايلدكز الري

20

ذكر عدة حوادث

20

سنة خمس وستين وخمسمائة

22

ذكر حصر الفرنج دمياط

22

ذكر حصر نور الدين الكرك

23

ذكر غزوة لسرية نورية

23

ذكر الزلزلة وما فعلته بالشام

24

ذكر وفاة قطب الدين مودود بن زنكي ، وملك ابنه سيف الدين غازي

24

ذكر حالة ينبغي للملوك أن يحترزوا من مثلها

25

ذكر الحرب بين عساكر ابن عبد المؤمن وابن مردنيش

26

ذكر وفاة صاحب كرمان والخلف بين أولاده

26

ذكر عدة حوادث

27
سنة ست وستين وخمسمائة
28
ذكر وفاة المستنجد بالله
28
ذكر ملك نور الدين الموصل وإقرار سيف الدين عليها
29
ذكر غزو صلاح الدين بلاد الفرنج وفتح أيلة
31
ذكر ما اعتمده صلاح الدين بمصر هذه السنة
31
ذكر عدة حوادث
32
سنة سبع وستين وخمسمائة
33
ذكر إقامة الخطبة العباسية بمصر، وانقراض الدولة العلوية
33
ذكر الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين باطنا
35
ذكر غزوة إلى الفرنج بالشام
37

ذكر وفاة ابن مردنيش وملك يوسف بن عبد المؤمن بلاده
37
ذكر عبور الخطا جيحون والحرب بينهم وبين خوارزمشاه
37
ذكر عدة حوادث
38
سنة ثمان وستين وخمسمائة
39
ذكر وفاة خوارزمشاه ايل أرسلان وملك ولده سلطانشاه وبعده ولده الأخر تكش وقمَل المؤيد وملك ابنه
39
ذكر غارة الفرنج على بلد حوران وغارة المسلمين على بلد الفرنج
45

ذكر مسير شمس الدولة إلى بلد النوبة
45
ذكر ظفر مليح بن ليون بالروم
46
ذكر وفاة ايلدكز
46
ذكر وصول الترك إلى إفريقية وملكهم طرابلس وغيرها
47
ذكر غزو ابن عبد المؤمن الفرنج بالأندلس
47
ذكر نهب نهاوند
48
ذكر قصد نور الدين بلاد قلج أرسلان
48
ذكر رحيل صلاح الدين من مصر إلى الكرك ، وعوده عنها
49
ذكر عدة حوادث
50
سنة تسع وستين وخمسمائة
52
ذكر ملك شمس الدولة زبيد وغيرها من بلاد اليمن

52
ذكر قتل جماعة من المصريين أرادوا الوثوب بصلاح الدين
53
ذكر وفاة نور الدين محمود بن زنكي رحمه اللُه
55
ذكر ملك ولده الملك الصالح
58
ذكر ملك سيف الدين البلاد الجزرية
59
ذكر حصر الفرنج بانياس وعودهم عنها
60
ذكر عدة حوادث
60
سنة سبعين وخمسمائة
63
ذكر وصول أسطول صقلية إلى مدينة الإسكندرية وانهزامهم منها
63
ذكر خلاف الكنز بصعيد مصر
64
ذكر ملك صلاح الدين دمشق

65
ذكر ملك صلاح الدين مدينتي حمص وحماة
66
ذكر حصر صلاح الدين حلب وعوده عنها
وملك قلعة حمص وبعلبك
67
ذكر حصر سيف الدين أخاه عماد الدين بسنجار
68
ذكر انهزام سيف الدين من صلاح الدين وحصره مدينة حلب
69
ذكر ملك صلاح الدين قلعة بعرين
70
ذكر ملك البهلوان مدينة تبريز
70

ذكر وفاة شملة
71
ذكر هرب قطب الدين قايماز من بغداد
71
ذكر عدة حوادث
73
سنة احدى وسبعين وخمسمائة
74
ذكر انهزام سيف الدين من صلاح الدين
74
ذكر ما ملكه صلاح الدين بعد الكسرة من بلاد الصالح بن نور الدين
75
ذكر حصر صلاح الدين مدينة حلب والصلح عليها
76
ذكر الفتنة بمكة وعزل أميرها وإقامة غيره
77
ذكر عدة حوادث
78
سنة اثنين وسبعين وخمسمائة
81
ذكر نهب صلاح الدين بلد الإسماعيلية

81
ذكر ظفر للمسلمين بالفرنج وللفرنج بالمسلمين
81
ذكر عصيان صاحب شهرزور على سيف الدين وعوده إلى طاعته
82
ذكر فرج بعد شدة يتعلق بالتاريخ
82
ذكر نهب البندنيجين
83
ذكر عدة حوادث
84
سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة
85
ذكر انهزام صلاح الدين بالرملة
85
ذكر حصر الفرنج مدينة حماة
86
ذكر قتل كمشتكين وحصر الفرنج حارم
87
ذكر عدة حوادث

88
سنة أربع وسبعين وخمسمائة
91
ذكر قصد الفرنج مدينة حماة أيضاً
91
ذكر عصيان ابن المقدم على صلاح الدين وحصر بعلبك وأخذ البلد منه
91
ذكر الغلاء والوباء العام
92
ذكر غارات الفرنج على بلاد المسلمين.
92
ذكر عدة حوادث
93

سنة خمس وسبعين وخمسمائة
95
ذكر تخريب الحصن الذي بناه الفرنج عند مخاضة الأحزان
95
ذكر الحرب بين عسكر صلاح الدين وعسكر قلج أرسلان
97
ذكر وفاة المستضيء بأمر الله وخلافة الناصر لدين الله
97
ذكر عدة حوادث
98
سنة ست وسبعين وخمسمائة
100
ذكر وفاة سيف الدين صاحب الموصل وولاية أخيه عز الدين بعده
100
ذكر مسير صلاح الدين لحرب قلل! أرسلان
101
ذكر قصد صلاح الدين بلد ابن ليون الأرمني
102
ذكر ملك يوسف بن عبد المؤمن مدينة قفصة بعد خلاف صاحبها عليه

103
ذكر عدة حوادث
104
سنة سبع وسبعين وخمسمائة
105
ذكر غزاة إلى بلاد الكرك من الشام
105
ذكر تلبيس ينبغي أن يحتاط من مثله
105
ذكر إرسال صلاح الدين العساكر إلى اليمن
106
ذكر وفاة الملك الصالح وملك ابن عمه عز الدين مسعود مدينة حلب
106
ذكر تسليم حلب إلى عماد الدين وأخذ سنجار عوضاً عنها
107
ذكر حصر صاحب ماردين قلعة البيرة ومسير صاحبها مع صلاح الدين
108
ذكر عدة حوادث
108
سنة ثمان وسبعين وخمسمائة

110
ذكر مسير صلاح الدين إلى الشام وإغارته على الفرنج
110
ذكر ملك المسلمين شقيفاً من الفرنج
110
ذكر إرسال سيف الِإسلام إلى اليمن وتغلبه عليه
111
ذكر إغارة صلاح الدين على الغور وغيره من بلاد الفرنج وأعمالها
112
ذكر حصر بيروت
112

ذكر عبور صلاح الدين الفرات وملكه ديار الجزيرة 112
ذكر حصر صلاح الدين الموصل 114
ذكر ملكه مدينة سنجار 116
ذكر عود صلاح الدين إلى حران 116
ذكر اجتماع عز الدين وشاه أرمن 116
ذكر الظفر بالفرنج في بحر عيذاب 117
ذكر عدة حوادث 118
سنة تسع وسبعين وخمسمائة
119
ذكر ملك صلاح الدين آمد وتسليمها إلى صاحب الحصن 119
ذكر ملك صلاح الدين تل خالد وعينتاب من أعمال الشام 120
ذكر وقعتين مع الفرنج في البحر والشام

120
ذكر ملك صلاح الدين حلب
121
ذكر فتح صلاح الدين حارم
122
ذكر القبض على مجاهد الدين وما حصل من الضرر بذلك
123
ذكر غزو بيسان
124
ذكر غزو الكرك وملك العادل حلب
124
ذكر عدة حوادث
125
سنة ثمانين وخمسمائة
126
ذكر إطلاق مجاهد الدين من الحبس وانهزام العجم
126
ذكر وفاة يوسف بن عبد المؤمن وولاية ابنه يعقوب
126
ذكر غزو صلاح ، الدين الكرك
127

ذكر ملك الملثمين بجاية وعودها إلى أولاد عبد المؤمن
128
ذكر وفاة صاحب ماردين وملك ولده
129
ذكر عدة حوادث
129
سنة احدى وثمانين وخمسمائة
131
ذكر حصر صلاح الدين الموصل ورحيله عنها لوفاة شاه ارمن
131
ذكر وفاة نور الدين صاحب الحصن
133
ذكر ملك صلاح الدين ميافارقين
134

ذكر عود صلاح الدين إلى بلد الموصل والصلح بينه وبين أتابك عز الدين
134
ذكر الفتنة بين التركمان والأكراد بديار الجزيرة والموصل
136
ذكر ملك الملثمين والعرب إفريقية وعودها إلى الموحدين
136
ذكر عدة حوادث
138
سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة
139
ذكر نقل العادل من حلب والملك العزيز إلى مصر وإخراج الأفضل من مصر إِلى دمشق وإقطاعه إياها
139
ذكر وفاة البهلوان وملك أخيه قزل
140
ذكر اختلاف الفرنج بالشام وانحياز القمص صاحب طرابلس إلى صلاح الدين
141
ذكر غدر البرنس أرناط
142

ذكر عدة حوادث
142
سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة
143
ذكر حصر صلاح الدين الكرك
143
ذكر الغارة على بلد عكا
144
ذكر عود صلاح الدين إلى عسكره ودخوله إلى الفرنج
144
وما يعدهم الشيطان إلا غروراً
144
ذكر فتح صلاح الدين طبرية
145
ذكر انهزام الفرنج بحطين
146
ذكر عود صلاح الدين إلى طبرية وملك قلعتها مع المدينة
149
ذكر فتح مدينة عكا
149
ذكر فتح مجدل يابا

150
ذكر فتح عدة حصون
150
ذكر فتح يافا
150
ذكر فتح تبنين وصيدا وجبيل وبيروت
151
ذكر خروج المركيش إلى صور
152
ذكر فتح عسقلان وما يجاورها
153

ذكر فتح البلاد والحصون المجاورة لعسقلان 154
ذكر فتح البيت المقدس 154
ذكر رحيل صلاح الدين إلى صور ومحاصرتها 159
ذكر الرحيل عن صور إلى عكا وتفريق العساكر 160
ذكر فتح هونين 161
ذكر حصر صفد وكوكب والكرك 162
ذكر الفتنة بعرفات وقتل ابن المقدم 162
ذكر قرة السلطان طغرل على قزل 163
ذكر ملك شرستى من الهند وانهزام المسلمين بعدها 164
ذكر عدة حوادث 164

166

ذكر حصر صلاح الدين كوكب

166

ذكر رحيل صلاح الدين إلى بلد الفرنج

166

ذكر فتح جبلة

167

ذكر فتح لاذقية

168

ذكر حال اسطول صقلية

168

ذكر فتح صهيون وعدة من الحصون

169

ذكر فتح حصن بكاس والشغر

170

ذكر فتح سرمينية

171

ذكر فتح برزية

171

ذكر فتح درب ساك 173
ذكر فتح بغراس 174
ذكر الهدنة بين المسلمين وصاحب انطاكية 174
ذكر فتح الكرك وما يجاوره 175
ذكر فتح قلعة صفد 176
ذكر فتح كوكب 176
ذكر ظهور طائفة من الشيعة بمصر 177
ذكر انهزام عسكر الخليفة من السلطان طغرل 178

ذكر عدة حوادث
179
سنة خمس وثمانين وخمسمائة
180
ذكر فتح شقيف أرنوم
180
ذكر وقعة اليزك مع الفرنج
181
ذكر وقعة ثانية للغزاة المتطوعة
181
ذكر وقعة ثالثة
182
ذكر مسير الفرنج إلى عكا ومحاصرتها
183
ذكر وقعة أخرى ووقعة العرب
185
ذكر الوقعة الكبرى على عكا
186
ذكر رحيل صلاح الدين عن الفرنج وتمكنهم من حصر عكا
188

ذكر وصول عسكر مصر والأسطول المصري في البحر
189
ذكر عدة حوادث
189
سنة ست وثمانين وخمسمائة
191
ذكر وقعة الفرنج واليزك وعود صلاح الدين إلى منازلة الفرنج
191
ذكر إحراق الأبراج ووقعة– الأسطول
191
ذكر وصول ملك الألمان إلى الشام وموته
193
ذكر وقعة للمسلمين والفرنج على عكا
195
ذكر خروج الفرنج من خنادقهم
197
ذكر تسيير البدل إلى عكا والتفريط فيه حتى أخذت
198
ذكر وفاة زين الدين يوسف صاحب إربل ومسير أخيه مظفر الدين إليها
199

ذكر ملك الفرنج مدينة شلب وعودها إلى المسلمين 199

ذكر الحرب بين غياث الدين وسلطان شاه بخراسان 200

ذكر عدة حوادث 200

سنة سبع وثمانين وخمسمائة 202

ذكر حصر عز الدين صاخب الموصل الجزيرة 202

ذكر عبور تقي الدين الفرات وملكه حران وغيرها من البلاد الجزرية ومسيره إلى خلاط وموته 203

ذكر وصول الفرنج من الغرب في البحر إلى عكا 204

ذكر ملك الفرنج عكا
205
ذكر رحيل الفرنج إلى ناحية عسقلان وتخريبها
207
ذكر رحيل الفرنج إلى نطرون
210
ذكر مسير صلاح الدين إلى القدس
210
ذكر عود الفرنج إلى الرملة
211
ذكر قتل قزل أرسلان
212
ذكر عدة حوادث
212
سنة ثمان وثمانين وخمسمائة
213
ذكر عمارة الفرنج عسقلان
213
ذكر قتل المركيس وملك الكندهري
213
ذكر نهب بني عامر البصرة

214
ذكر ما كان من ملك إنكلتار
215
ذكر استيلاء الفرنج على عسكر للمسلمين وقفل
215
ذكر سير الأفضل والعادل إلى بلاد الجزيرة
216
ذكر عود الفرنج إلى عكا
216
ذكر ملك صلاح الدين يافا
217
ذكر الهدنة مع الفرنج وعود صلاح الدين إلى دمشق
218
ذكر وفاة قلج أرسلان
219
ذكر ملك شهاب الدين أجمير وغيرها من الهند
221
ذكر عدة حوادث
222
سنة تسع وثمانين وخمسمائة
224

ذكر وفاة صلاح الدين وبعض سيرته
224
ذكر حال أهله وأولاده بعده
225
ذكر مسير أتابك عز الدين إلى بلاد العادل وعوده بسبب مرضه
226
ذكر وفاة أتابك عز الدين وشيء من سيرته
228
ذكر قتل بكتمر صاحب خلاط
229
ذكر عدة حوادث
229
سنة تسعين وخمسمائة
231

ذكر الحرب بين شهاب الدين وملك بنارس الهندي 231
ذكر قتل السلطان طغرل وملك خوارزم شاه الري ووفاة أخيه سلطان شاه 232
ذكر مسير وزير الخليفة إلى خوزستان وملكها 233
ذكر حصر العزيز مدينة دمشق 234
ذكر عدة حوادث 234
سنة إحدى وتسعين وخمسمائة 235
ذكر ملك وزير الخليفة همذان وغيرها من بلاد العجم 235
ذكر غزو ابن عبد المؤمن الفرنج بالأندلس 236
ذكر فعلة الملثم بإفريقية 238
ذكر ملك عسكر الخليفة اصفهان

238
ذكر ابتداء حال كوكجا وملكه بلد الري وهمذان وغيرها
239
ذكر حصر العزيز دمشق ثانية وانهزامه عنها
239
ذكر عدة حوادث
241
سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة
242
ذكر ملك شهاب الدين بهنكر وغيرها من بلد الهند
242
ذكر ملك العادل مدينة دمشق من الأفضل
242
ذكر عدة حوادث
243
سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة
245
ذكر إرسال الأمير أبي الهيجاء إلى همذان وما فعله
245
ذكر ملك العادل يافا من الفرنج وملك الفرنج بيروت من المسلمين وحصر الفرنج تبنين ورحيلهم عنها

245
ذكر وفاة سيف الاسلام وملك ولده
248
ذكر عدة حوادث
248
سنة أربع وتسعين وخمسمائة
250
ذكر وفاة عماد الدين وملك ولده قطب الدين محمد
250
ذكر ملك نور الدين نصيبين
250
ذكر ملك الغورية مدينة بلخ من الخطأ الكافرة
251

ذكر انهزام الخطا من الغورية
252
ذكر ملك خوارزم شاه مدينة بخارا
253
ذكر عدة حوادث
254
سنة خمس وتسعين وخمسمائة
255
ذكر وفاة الملك العزيز وملك أخيه الأفضل ديار مصر
255
ذكر حصر الأفضل مدينة دمشق وعوده عنها
257
ذكر وفاة يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وولاية ابنه محمد
258
ذكر عصيان أهل المهدية على يعقوب وطاعتها لولده محمد
259
ذكر رحيل عسكر الملك العادل عن ماردين
260
ذكر الفتنة بفيروز وزكوه من خراسان
262

ذكر مسير خوارزم شاه إلى الري
262
ذكر عدة حوادث
263
سنة ست وتسعين وخمسمائة
265
ذكر ملك العادل الديار المصرية
265
ذكر وفاة خوارزم شاه
266
ذكر عدة حوادث
267
سنة سبع وتسعين وخمسمائة
269
ذكر ملك الملك الظاهر صاحب حلب منبج وغيرها من الشام وحصره هو وأخوه الأفضل مدينة دمشق وعودهما عنها
269
ذكر ملك غياث الدين وأخيه ما كان لخوارزم شاه بخراسان
271
ذكر قصد نور الدين بلاد العادل والصلح بينهما
274

ذكر ملك شهاب الدين نهر واله 274
ذكر ملك ركن الدين ملطية من أخيه وأرزن الروم 275
ذكر وفاة سقمان صاحب آمد وملك أخيه محمود 275
ذكر عدة حوادث 275
سنة ثمان وتسعين وخمسمائة 277
ذكر ملك خوارزم شاه ما كان أخذه الغورية من بلاده 277
ذكر حصر خوارزم شاه هراة وعوده عنها 279

ذكر عدة حوادث
280
سنة تسع وتسعين وخمسمائة
281
ذكر حصر العادل ماردين وصلحه مع صاحبها
281
ذكر وفاة غياث الدين ملك الغور وشيء من سيرته
281
ذكر أخذ الظاهر قلعة نجم من أخيه الأفضل
283
ذكر ملك الكرج مدينة دوين
283
ذكر عدة حوادث
284
سنة ستمائة
285
ذكر حصار خوارزم شاه هراة ثانية
285
ذكر عود شهاب الدين من الهند وحصر خوارزم وانهزامه من الخطا
285

ذكر قتل طائفة من الإسماعيلية بخراسان .
288
ذكر ملك القسطنطينية من الروم
288
ذكر انهزام نور الدين صاحب الموصل من العساكر العادلية
289
ذكر خروج الفرنج بالشام إلى بلاد الاسلام والصلح معهم
291
ذكر قتل كوكجة ببلاد الجبل وولاية أيتغمش
292
ذكر وفاة ركن الدين بن فلج أرسلان وملك ابنه بعده
292
ذكر قتل الباطنية بواسط
293
ذكر استيلاء محمود على مرباط وغيرها من حضرموت
293
ذكر عدة حوادث
293
سنة إحدى وستمائة
295
ذكر ملك كيخسرو بن قلج أرسلان بلاد الروم من ابن أخيه

295
ذكر حصر صاحب آمد خرتَ بزْتَ ورجوعه عنها
296
ذكر الفتن ببغداد
297
ذكر غارة الكرج على بلاد الاسلام
297
ذكر الحرب بين أمير مكة وأمير المدينة
298
ذكر عدة حوادث
298
سنة اثنتين وستمائة
300
ذكر الفتنة بهراة
300

ذكر قتال شهاب الدين الغوري بني كوكر
300
ذكر الظفر بالتيراهية
302
ذكر قتل شهاب الدين الغوري
303
ذكر ما فعله الدز
304
ذكر بعض سيرة شهاب الدين
305
ذكر مسير بهاء الدين سام إلى غزنة وموته
306
ذكر ملك علاء الدين غزنة وأخذها منه
306
ذكر ملك الدز غزنة
308
ذكر حال غياث الدين بعد قتل عمه
309
ذكر استيلاء خوارزمشاه على بلاد الغورية بخراسان
312

ذكر ملك خوارزم شاه ترمذ وتسلمها إلى الخطا 314
ذكر عود أصحاب باميان إلى غزنة 315
ذكر عود الدز إلى غزنة 316
ذكر قصد صاحب مراغة وصاحب إربل أذربيجان 318
ذكر إيقاع أيتغمش بالإسماعيلية 319
ذكر وصول عسكر خوارزم إلى بلاد الجبل وما كان منهم 319
ذكر الغارة من ابن ليون على أعمال حلب 319
ذكر نهب الكرج أرمينية 320
ذكر عدة حوادث 321
سنة ثلاث وستمائة 323
ذكر ملك عباس باميان وعودها إلى ابن أخيه

323
ذكر ملك خوارزم شاه الطالقان
323
ذكر حال غياث الدين مع الدز وأيبك
325
ذكر وفاة صاحب مازندران والخلف بين أولاده
327
ذكر ملك غياث الدين كيخسرو مدينة أنطاكية
328
ذكر عزل ولد بكتمر صاحب خلاط وملك بلبان ومسير صاحب ماردين إلى خلاط وعوده
328
ذكر ملك الكرج مدينة ترس وموت ملكة الكرج
330

ذكر الحرب بين عسكر الخليفة وصاحب كرستان 330
ذكر عدة حوادث سنة أربع وستمائة 331
ذكر ملك خوارزم شاه وراء النهر وما كان بخراسان من الفتن وإصلاحها 333
ذكر قتل ابن خرميل وحصر هراة وأسر خوارزمشاه وخلاصه 334
ذكر ما فعله خوارزمشاه بخراسان 336
ذكر قتل غياث الدين محمود 337
ذكر عود خوارزمشاه إلى الخطا 337
ذكر غدر صاحب سمرقند بالخوارزميين 338
ذكر الوقعة التي أفنت الخطا 339

ذكر ملك نجم الدين بن الملك العادل خلاط 340
ذكر غارات الفرنج بالشام 341
ذكر الفتنة بخلاط وقتل كثير من أهلها 342
ذكر ملك أبي بكر بن البهلوان مراغة 342
ذكر عزل نصير الدين وزير الخليفة 343
ذكر عدة حوادث سنة خمس وستمائة 344
ذكر ملك الكرج أزجيش وعودهم عنها 345
ذكر قتل سنجرشاه وملك ابنه محمود 345
ذكر عدة حوادث سنة ست وستمائة 347
348

ذكر ملك العادل الخابور ونصيبين وحصر سنجار وعوده عنها واتفاق نور الدين أرسلان شاه ومظفر الدين 348

ذكر عدة حوادث سنة سبع وستمائة 350

ذكر عصيان سنجر مملوك الخليفة بخوزستان ومسير العساكر إليه 352

ذكر وفاة نور الدين أرسلان شاه وشيء من سيرته 353

ذكر ولاية ابنة الملك القاهر

354

ذكر عدة حوادث

355

سنة ثمان وستمائة

356

ذكر استيلاء منكلي على بلاد الجبل وأصفهان وغيرها وهرب أيتغمش

356

ذكر نهب الحاج بمنى

356

ذكر عدة حوادث

357

سنة تسع وستمائة

359

ذكر قدوم ابن منكلي بغداد

359

ذكر عدة حوادث

359

سنة عشر وستمائة

360

ذكر قتل أيتغمش

360
ذكر عدة حوادث
360
سنة احدى عشر وستمائة
362
ذكر ملك خوارزمشاه علاء الدين كرمان ومكران والسند
362
ذكر عدة حوادث
363
سنة اثنتي عشر وستمائة
364
ذكر قتل منكلي وولاية اغلمش ما كان بيده من الممالك
364
ذكر وفاة ابن الخليفة
365
ذكر ملك خوارزمشاه غزنة وأعمالها
366
ذكر استيلاء الدز على لهاوور وقتله
367
ذكر عدة حوادث
367
سنة ثلاث عشر وستمائة
369

ذكر وفاة الملك الظاهر
369
ذكر عدة حوادث
370
سنة أربع عشر وستمائة
371
ذكر ملك خوارزم شاه بلد الجبل
371
ذكر ما جرى لأتابك سعد مع أولاده
372

ذكر ظهور الفرنج إلى الشام ومسيرهم إلى ديار مصر وملكهم مدينة دمياط وعودها إلى المسلمين 373
ذكر حصر الفرنج قلعة الطور وتخريبها 375
ذكر حصر الفرنج دمياط إلى أن ملكوها 375
ذكر ملك المسلمين دمياط من الفرنج 377
ذكر عدة حوادث 380
سنة خمس عشرة وستمائة 382
ذكر وفاة الملك القاهر وولاية ابنه نور الدين وما كان من الفتن بسبب موته إلى أن استقرت الأمور 382
ذكر ملك عماد الدين زنكي قلاع الهكارية والزوزان 383
ذكر اتفاق بدر الدين مع الملك الأشرف 384

ذكر انهزام عماد الدين زنكي من العسكر البدري 385
ذكر وفاة نور الدين صاحب الموصل وملك أخيه 386
ذكر انهزام بدر الدين من مظفر الدين 386
ذكر ملك عماد الدين قلعة كواشى وملك بدر الدين تل يعفر وملك الملك الأشرف سنجار 387
ذكر وصول الأشرف إلى الموصل والصلح مع مظفر الدين 389
ذكر عود قلاع الهكارية والزوزان إلى بدر الدين 390
ذكر قصد كيكاوس ولاية حلب وطاعة صاحبها للأشرف وانهزام كيكاوس 391
ذكر وفاة الملك العادل وملك أولاده بعده 393
ذكر عدة حوادث 394

396
ذكر وفاة كيكاوس وملك كيقباذ أخيه
396
ذكر موت صاحب سنجار وملك ابنه ثم قتل ابنه وملك أخيه
397
ذكر إجلاء بني معروف عن البطائح وقتلهم
397
ذكر عدة حوادث
397
سنة سبع عشرة وستمائة
399

ذكر خروج التتر إلى بلاد الاسلام
399
ذكر خروج التتر إلى تركستان وما وراء النهر وما فعلوه
401
ذكر مسير التتر إلى خوارزمشاه وانهزامه وموته
406
ذكر صفة خوارزمشاه وشيء من سيرته
407
ذكر استيلاء التتر المغربة على مازندران
408
ذكر وصول التتر إلى الري وهمذان
409
ذكر وصول التتر إلى أذربيجان
409
ذكر ملك التتر مراغة
411
ذكر ملك التتر همذان وقتل أهلها
413
ذكر مسير التتر إلى اذربيجان وملكهم أردويل وغيرها
414

ذكر وصول التتر إلى بلاد الكرج 415
ذكر وصولهم إلى دَرْبَنْد شِروان وما فعلوه 416
ذكر ما فعلوه باللان وقفجاق 416
ذكر ما فعله التتر قفجاق والروس 417
ذكر عود التتر من بلاد الروس وقفجاق إلى ملكهم 418
ذكر ما فعله التتر بما وراء النهر بعد بخارى وسمرقند 418
ذكر ملك التتر خراسان 419
ذكر ملكهم خوارزم وتخريبها 421
ذكر ملك التتر غزنة وبلاد الغور 422
ذكر تسليم الأشرف خلاط إلى أخيه شهاب الدين غازي 424

ذكر عدة حوادث
424
سنة ثمان عشرة وستمائة
426
ذكر وفاة قتادة أمير مكة وملك ابنه الحسن وقتل أمير الحاج
426
ذكر عدة حوادث
428
سنة تسع عشرة وستمائة
430
ذكر خروج طائفة من قفجاق إلى أذربيجان وما فعلوه بالكرج وما كان منهم
430
ذكر نهب الكرج بيلقان
432

ذكر ملك بدر الدين قلعة شوش
433
ذكر عدة حوادث
433
سنة عشرين وستمائة
435
ذكر ملك صاحب اليمن مكة حرسها الله تعالى
435
ذكر حرب بين المسلمين والكرج بأرمينية
435
ذكر الحرب بين غياث الدين وبين خاله
436
حادثة غريبة لم يوجد مثلها
437
ذكر حوادث عدة
437
سنة احدى وعشرين وستمائة
439
ذكر عود طائفة من التتر إلى الري وهمذان وغيرهما
439
ذكر ملك غياث الدين بلاد فارس

440

ذكر عصيان شهاب الدين غازي على أخيه الملك الأشرف وأخذ خلاط منه

440

ذكر حصار صاحب إربل ا لموصل

441

ذكر عدة حوادث

442

سنة اثنتين وعشرين وستمائة

443

ذكر حصر الكرج مدينة كنجة

443

ذكر وصول جلال الدين بن خوارزمشاه إلى خوزستان والعراق

443

ذكر وفاة الملك الأفضل وغيره من الملوك

445

ذكر خلع شروان شاه وظفر المسلمين بالكرج

446

ذكر ظفر المسلمين بالكرج أيضاً

447

ذكر ملك جلال الدين أذربيجان

447
ذكر انهزام الكرج من جلال الدين
449
ذكر عود جلال الدين إلى تبريز وملكه مدينة كنجة ونكاحه زوجة أوزبك
450
ذكر وفاة الخليفة الناصر لدين الله
451
ذكر خلافة الظاهر بأمر الله
453
ذكر ملك بدر الدين قلعي العمادية وهرور
455

ذكر عدة حوادث
457
سنة ثلاث وعشرين وستمائة
460
ذكر ملك جلال الدين تفليس
460
ذكر مسير مظفر الدين صاحب اربل إلى الموصل وعوده عنها
462
ذكر عصيان كرمان على جلال الدين ومسيره إليها
463
ذكر الحرب بين عسكر الأشرف وعسكر جلال الدين
463
ذكر وفاة الخليفة الظاهر بأمر الله
464
ذكر خلافة ابنه المستنصر بالله
465
ذكر الحرب بين كيقباذ وصاحب آمد
465
ذكر حصر جلال الدين مدينتي آني وقرس
466

ذكر حصر جلال الدين خلاط
466
ذكر إيقاع جلال الدين بالتركمان الايوائية
467
ذكر الصلح بين المعظم والأشرف
468
ذكر الفتنة بين الفرنج والأرمن
469
ذكر عدة حوادث
470
سنة أربع وعشرين وستمائة
472
ذكر دخول الكرج مدينة تفليس وإحراقها
472
ذكر نهب جلال الدين بلد الإسماعيلية
472
ذكر الحرب بين جلال الدين والتتر
473
ذكر دخول العساكر الأشرفية إلى اذربيجان وملك بعضها
473
ذكر وفاة المعظم صاحب دمشق وملك ولده

473
ذكر عدة حوادث
474
سنة خمس وعشرين وستمائة.
476
ذكر الخلف بين جلال الدين وأخيه
476
ذكر الحرب بين جلال الدين والتتر
476
ذكر خروج الفرنج إلى الشام وعمارة صيدا
477
ذكر ملك كيقباذ ارزنكان
478
ذكر خروج الملك الكامل
479

ذكر نهب جلال الدين بلاد أرمينية
479
ذكر عدة حوادث
480
سنة ست وعشرين وستمائة
481
ذكر تسليم البيت المقدس إلى الفرنج
481
ذكر ملك الملك الأشرف مدينة دمشق
482
ذكر القبض على الحاجب علي وقتله
483
ذكر ملك الكامل مدينة حماة
483
ذكر حصر جلال الدين خلاط وملكها
484
ذكر عدة حوادث
485
سنة سبع وعشرين وستمائة
486
ذكر انهزام جلال الدين من كيقباذ والأشرف
486

ذكر ملك علاء الدين ارزن الروم
487
ذكر الصلح بين الأشرف وعلاء الدين وبين جلال الدين
487
ذكر ملك شهاب الدين غازي مدينة ارزن
487
ذكر ملك صونج قشيالوا قلعة روبنذر
488
سنة ثمان وعشرين وستمائة
490
ذكر خروج التتر إلى اذربيجان وما كان منهم
490
ذكر ملك التتر مراغة
491
ذكر وصول جلال الدين إلى آمد وانهزامه عندها وما كان منه
492
ذكر دخول التتر ديار بكر والجزيرة وما فعلوه في البلاد من الفساد
492
ذكر وصول طائفة من التتر إلى إربل ودقوقا
494

ذكر طاعة أهل أذربيجان للتتر 494
ذكر عدة حوادث 496